صاحبها ورئيس تحريرها
مدحت عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق
دمشق ـ ص ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

تشرين الاول
١٩٧٥
ملحق العدد ٤٠

تحيـة لتشرين

وجـاء تشرين ، بعـد لأي طويل ٠٠ طويل في أحاسيس النفوس التي أرمضها القهر ، وأمضها القلق ، وعذبها طول الانتظار ،

جاء تشرين ، يحمل المشعل ، وينير الطريـق ،ويغذي الطموح ، ويمحو القهر والقلق ، ويعيد للعربي كرامة امتهنت ، ويصون ذاته التي كادت تضيع ، كـانرائعا في حله وغدوه ، فقد أيقظ الضمير العربي ، ومرغ صلف العدو ، وأخزى كبرياءه ، وقضى على خديعة ظل العالـم يعيش في ضلالها حينا من الدهر ، وأحيا حقيقـة بهر نورها الوهاج عيون الناس ٠

جاء من المغرب ، ومن الجزيرة العربية ، ٠٠ منالخليج ٠٠ من كل أرض عربية ، كتائب تزجي كتائب ، وسرايا تزحم سرايا ، فحط في الجـولان وفي سينـــاء ، وأنار شعلة الوحدة العربية ، فعم نورها مشرق العرب ومغربهم ٠

ولكـن ٠٠٠

لقد كان حصاد تشرين في الجولان ، غير حصاده فيسيناء ٠ هنا في سورية في الارض التي رويـت بـالدم العربي ، ظل لهيبا ، يحرق العدو ، وصمودا رائعـاأمام التحديات ومحاولات الاجهاض ، وظل كفاح القائد والشعب رائعـا ، ينمو وينمو ليمحق الزيف ويزهقالبـاطل ٠

وهناك ، في سيناء ، كان حصاده : تخاذلا وخنوعاوتنكرا للدم العربي ، وعزلة رهيبـة علت أسوارها ،

ورغم ذلك ، وكما قال القائد المنـاضل ، السيدالرئيس حافظ الاسد : « ستظل لتشرين عظمته ، وسيظل له عنفوانه وخلوده عبر تاريخنا الطويل ، لانه شكـلالانطلاق الكبير في مسيرة تاريخنا العربي ٠ ٠

فتحية لتشرين الذي سيبقى وهاجا ، وتحية لابطالتشرين أينما كانوا ، فهم الـذين حققوا النصر المبـين بصمودهم الرائع ٠٠ ورحمـة لشهداء الامة العربيـةالذين رووا أرض الجـولان وأرض سيناء بدمائهـم الزكيـــة ٠

رئيس التحرير

خواطر عن الدكتور

طه حسين

بقلم الأستاذ شفيق جبري

قمت من النوم يوم الاثنين في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٧٣ فأصغيت الى اذاعة (لندن) فسمعت المذيع ينعي الدكتور طه حسين ، وقد بلغ من العمر اربعا وثمانين سنة ، فلا ابالغ اذا قلت انني اضطربت بعض الاضطراب ، فالانسان اذا كبر وسمع ذكر الموت فلا بد له من ان يبلغ القلق منه مبلغا ولو يسيرا .

سمعت نعي الدكتور طه حسين ، فسألت الله ان يدخله في رحمته الواسعة ، وقد كانت صحته قد ساءت من سنين ، كان صوته — اذا تكلم او حاضر او اذاع حديثا — يأخذ بمجامع القلوب ، حتى ان اذاعة لندن قالت مرة ، ان صوته لا يعدله صوت من حيث الحسن ، ولكن المرة الاخيرة التي سمعته فيها كان صوته ضعيفا ، متهدجا ، واذكر ان حديثه في الاذاعة كان موضوعه المجددين في الأدب ، الذي لم يكن اسلوب تجديدهم عربيا ولا اعجميا .

لقد جلست مع المرحوم الدكتور طه حسين بعض المجالس ، فاحببت في هذا المقال الوجيز ان ادون جملة من الخواطر بقيت في ذهني من تلك المجالس ، لم اسمعه في مجلس من مجالسه يقذف بلفظة نابية عن الذوق والأدب ، فقد كان مهذب الألفاظ ، وكان هذا التهذيب انما هو صورة التهذيب لفنه ، ولقد جالست شيخا من شيوخ الأدب في القاهرة ، فكان اذا غضب على فلان قال : فلان ابن كذا ... وابن كذا .. فان أشباه هذه الألفاظ غير المألوفة في المجالس الرفيعة ، لم تجر على لسان الدكتور طه حسين .

ومن تهذيبه انه كان في بعض الاحيان اذا استغضب ضبط نفسه ، فلا تجمح به اعصابه ، فقد كنا مرة في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب في القاهرة ، وكان موضوع الجلسة ترشيح الدكتور طه حسين لجائزة الآداب ، فغضب المرحوم الاستاذ العقاد أشد الغضب ، وثار اعنف ثورة ، واخذ يثني على منزلته في الادب ، وعلى فضل كتبه ، وكأنه كان يريد أن يرشح للجائزة قبل غيره ، وهو — ولا ريب في ذلك يستحقها كما يستحقها الدكتور طه حسين ، ولكن الدكتور طه حسين قد ضبط نفسه في هذا الغضب وهذه الثورة ، ولم يقل شيئا ، وانما قال : أعطوه الجائزة قبلي وخلص ... وانتهت الجلسة بترشيح الدكتور طه حسين لجائزة الآداب .

وعلى الرغم من تهذيب الدكتور طه حسين ومن وقاره ، كان يميل في بعض الاحيان الى المزح ، الا أن مزحه كان لا يخلو من رقة ، وكان لا يمازح الا من كان يستأنس به ، اذكر اني زرته بعض السنين في داره في الزمالك ، وكان في جملة الزوار الدكتور توفيق دياب ، ويظهر انه كانت بين الدكتور طه والاستاذ دياب صلة قوية ، قال الاستاذ دياب : يادكتور ، عثرت اليوم على لفظتين عاميتين وأصلهما فصيح ، فقال الدكتور طه : ما هما ؟ فقال الاستاذ دياب ، القهقة والهبالة ، فقال الدكتور طه : نأخذ القهقة ونترك لك الهبالة ، فكان ارتياح الاستاذ دياب الى هذه المزحة اشد من ارتياح

اهل المجلس ·

الا ان الدكتور طه حسين ، على الرغم من ميله الى المزح في بعض الأوقات ، كان يهتم باظهار امره ، اذا القي اليه امر من الأمور · لقد شعرت بهذا الاهتمام في الجامعة العربية ، وكنا في لجنة رئيسها الدكتور طه ، فقد كان قويا في كلامه ، لا يريد ان يظهر عليه اثر الضعف ، فكأنه كان شديد الثقة بنفسه ، فقد دعاني مرة الى الغداء في نادي محمد علي في القاهرة ، فقلت له في اثناء الطعام : يا دكتور ، اذا رجعت الى طفولتك الأولى فهل تغير شيئا من حياتك ؟ فقال : اذا رجعت الى طفولتي الأولى فلن أغير شيئا من حياتي ، بل أعيش العيشة نفسها التي عشتها من كل الوجوه ، وهذا كلام الواثق باسلوب حياته وعيشته ، المعتقد ان ما عمله في حياته انما هو حسن ، لا يحتاج الى شيء من التعديل والتغيير ، ولا شك ان كل واحد منا اذا رجع الى طفولته الأولى ، فلا بد له من ان يغير شيئا من اساليب حياته كان لا يرضى عنه ، أو كان يرى ان غيره من الاساليب انما هو افضل منه ·

كان الدكتور طه حسين رجل سياسة ، واعني بالسياسة في هذا المقام المداراة ، فقد كان رجل مداراة ، فلما قدم مهرجان ابي العلاء المعري ، قال في جملة خطبه – على ما اذكر – · ان الذي يقدم دمشق ، لا يقول في حكومتها ما قاله ابو العلاء في رجال السلطان في أيامه ، انه لا يقول : ظلموا الرعية ·· واستشهد بابيات ابي العلاء المشهورة في هذا المعنى ، فلا شك في ان قولا مثل هذا القول ، قد ارضى الحكومة في تلك الايام ، وان كانت الحكومات في اي زمن من الازمان لا تخلوا من معارضين مخالفين ·

كان رحمه الله – اذا سمع معنى في شعر من الاشعار ، يخفف من مصيبته في نظره ، يهتز كل الاهتزاز ، فقد القيت في مهرجان ابي العلاء المعري في دمشق قصيدة قلت فيها مشيرا الى ابي العلاء ·

لـم يضره فقد النواظر فالقلـ
ـب بصير تفتحت أجفانه
قد يرى المرء بالفطانة ما ليـ
ـس تراه على النوى أعيانه
كم بصير أعمى الجنان اذا أمّ
سبيلا ضل السبيل جنانه

ولما فرغت من انشاد هذه الأبيات ، وقعت عيني على الدكتور طه ، فرأيت وجهه قد احمر من الطرب ، واخذ يهز رأسه ، فكأنما يعجبه ان يقال : كل صحيح العين ليس بصحيح القلب ، وهذا معنى صادف هوى في فؤاده ، فقد حرمه الله تعالى نعمة العين ، ولكنه لم يحرمه نعمة رؤ يةالقلب ·

واذا احببت ان اختم هذه الخواطر ، فاني اختمها بحديث جرى بيني وبين الدكتور طه في فندق « سان جورج » في بيروت ، قال لي – رحمه الله – : ما هي أخباركم ؟ قلت له ان الاستاذ الرئيس محمد كرد علي قد فرغ من جزء من أجزاء مذكراته الاربعة ، وقد تعرض فيها لطائفة من اساتذة مصر ، ولم يستثن غيرك ، فسر كثيرا بهذا الاستثناء ، وبان السرور على وجهه ، لكنه لم ينطق بشيء ·

ان الكلام على طه حسين مديد النفس ، ولكني اقتصرت على طائفة من الخواطر ، بقيت في نفسي من مجالسه ، اما منزلته الرفيعة في الادب ، فلا شك في انها ستكون موضع مباحث غير قليلة ، يخوض فيها فريق من الكتاب · ان اسلوبه يشبه جدولا يجري بين حدائق غلب، فتلذ الاذن خريره دون ان يزعجها الضجيج ، وتلذ العين هذا الصفاء دون ان يتعبها التعقيد ، فيصل الذهن الى عمق هذا الجدول الصافي ، فيأخذ من اللآلي المنثورة فيه دون شيء من الجهد ·

رحم الله الدكتور طه حسين أوسع الرحمات ·

شفيق جبري

شكوى الجندي

• محمود درويش •

جلس الجندي في الرمل • وقال :

وطني يبدأ مني ، وأراه

ماشيا في دودة القز وفي الخبز

أراه

يرفع الماء عن الماء ليسقي برتقاله

وأراه

يوقظ الآلة في الفجر • ويصطاد السمك •

وطني ليس غزاله

وطني يبدأ مني • وأراه

يتجلى في يدي نهر سنابل

ولهذا •• سأقاتـــل

وأقـــاتـــل •

* * *

ومشى الجندي في النار وقال :

وطني يبدأ مني

فاختصرني يا دمي تتسع الارض وروحي •

ومشى الجندي في عرس الجروح

واشتعـــل

واكتمـــل

مثل قرص من ضيا ءوعسل •

وطني ليس بعيدا كآله

وطني يبـــدأ مني ، وأراه

جسدا تحت القنابل

ولهـــذا •• سأواصل

وأقـــاتـــل •

* * *

جلس الجندي في السجن ، وصاح :

في تمام الانفجار

وعلى باب النهـــار

أفرغوني من دم النهر ،

ومن واجب ترويض الرياح •

اخذوا مني سلاحي وسؤالي عن جنود الاحتلال

وأعادوني الى وقت الرمال •

وانتهى دوري ••

تساءلت : هل المسرح يحتاج الى الفي شهيد

والى عشرة آلاف جريح ونشيد ؟

ضربوني • سحبوني من بياض الرمل • ثم اعتقلوني

مدخل السجن شجر

ونياشين على الاغصان والجدران ••

مدح وخطوط وصور •

شكوى الجندي الفصيح

وتساءلت : من القاضي ؟

أجابوني : الوطن .

قلت : مــــن !!

قالوا بصوت واحد : نحن الوطن !

وأضاف الضابط الاول والسوط المائه :

ان للجندي مسؤوليتين

المـــوت

والصمت

فقلت : انني متهم بالرغبة في خوض القتال

فأجاب الضابط الاول والسوط المائة :

انتهكت الصمت في هذا السؤال

فلتنم في السجن بين الاوبئة

وسندعوك ، اذا شئنا . الى دور جديد .

ولهذا .. لا تقاتل

لا تقـــاتل

★ ★ ★

جلس الجندي في السجن . وغنى :

جئت من عائلة الطين

ومن آية « آمـــين »

على اكتاف « كـــان »

كان لي حلم ، وأم ، كان لي كيس ذره

جئت من أي مكان

من وعود أمرأة منكسره

جئت من فتحة ثوب أدخلت روحي الى أول ركبه

علمتني العادة السرية الأولى

وأشكال الدخان

جئت من أي مكـــان

جئت من لحيـــة شيخ ..

جئت من ايقاع خطبه

عن دخول الريف في عهد الصناعات الخفيفه

وعن التحرير والتطوير والفتح المبين

جئت من عائلـــة الطـــين

ومن آية آمـــين

على صوت قذيفه

جئت كي أحمي الوطن

تحت رايات الخليفه

وانتهى دوري . تساءلت :

هل المسرح يحتاج الى الفي شهيد ؟

والى عشرة آلاف جريح ؟

وانتهى دوري لكي اختار دوري من جديد

فلقد شاهدتهـــم

كيف يرمون شرايين الوطن

في تجاعيد الاناشيد

وطني ليس خرافه

وطني يبدأ مني ، وأراه

شارعا بين السلاسل

ولهذا .. سأواصل

وأقـــاتل ..

وأقـــاتل ..

محمود درويش

مدام ريكامييه

بقلم

• أنور المدّاوي •

كانت أجمل امرأة في عصرها ، وكانت اشقى امرأة ... اما جمالها فحسبه انه كان وحيا لامير النثر الفرنسي شاتوبريان ، وامير الشعر لامرتين ، وسيد كتاب القصة الذاتية بنجامان كونستان . واما شقاؤها فلو قدر لفنان ان يضع تمثالا للجمال البائس او يرسم لوحة للامل البائس لما وجد لفنه خيرا من قصة مدام ريكامييه .

عندما وفدت الى باريس عام ١٧٩٣ كانت الثورة الفرنسية المجنونة تلتهم ابناءها في غير رفق ولا هوادة . وكانت نفس الصغيرة جولييت برنارد تفيض اسى ولوعة المناظر الذاهبين للمقصلة : رجالا ونساء في ميعة الصبا وفجر العمر .. يذهبون الى غير رجعة ، وشعب يصفق للدماء المراقة التي تجري هنا وهناك ، وهو ابدا ظمآن لا يرتوي . اية نفوس تلك التي خلت من معاني الرحمة ؟، واية قلوب تلك التي تحجرت فلا ينبض فيها عرق بعاطفة ، واية عقول تلك التي اذهلتها القسوة فلا تصغي لصوت بريء ولا تحفل بشكاة مظلوم ؟... كانت جولييت الفاتنة تحدث نفسها بهذا كله وهي تصبح وتمسي على منظر واحد : مقلصة ، ودماء ، وشعب يلهو بضحاياها كما يلهو عالم التشريح بحيوان بائس ، يئن تحت اطراف مبضعه .. ولكم ودت ان تفر من هذا العذاب الى بلد آخر تنعم فيه بالهدوء والصفاء والامن ، وتلقي بنفسها في احضان الطبيعة الحانية ، تشبع عينيها من النهار المشمس والليل المقمر ، وتملأ رئتيها من الهواء النقي يحمل اليها رائحة الزهر ، لا رائحة الدم ، وغناء الطير لا انين الضحايا ، وتلقى نفوسا لم يدنسها حقد ولا ضغينة ، بل يجمع بينها صفاء ووفاء ووداعة وقناعة ، ولكن أين من هذا كله ؟ .. لقد قدر لها منذ ان فتحت عينيها على الوجود ان تعيش في العذاب : احساسا ورؤية .

كانت في ربيعها الخامس عشر ، حين كان مسيو ريكامييه يتردد على بيت ابويها ، وكان ابواها يدركان ان ريكامييه الثري وصاحب المصرف الشهير لا يتردد على بيتهما الا انه يحب بنتهما كل الحب ، ويعجب بها كل الاعجاب ، وما اكثر الذين يتهافتون على جمالها النادر فيرتدون على اعقابهم الا ريكامييه ، فقد وصل ، وصل بماله الى قلب الاب والام ، ولكنه لم يصل الى قلب جولييت .. وحين خطبها الى ابويها الحا على ابنتهما ان تقبله زوجا فقبلت على مضض ، كان في الاربعين من عمره ... خمسة وعشرون عاما تفصل بين قلبين ومزاجين وشعورين . وهنا يلتقي الخريف بالربيع ، ربيع حياتها بخريف حياته . وعاشت في قصر ريكامييه كما تعيش الملكات ، ولكنها كانت تحس الفقر في كل مكان تطأه قدماها ... لقد مضت بها الايام قلقة متشابهة ، لا يشع فيها امل يبدد من ظلام القلب والروح . اي شباب هذا تقذف به المقادير في خضم من اعاصير الحيرة ، فلا يدري على أي شاطىء ترسو سفينة احلامه واوهامه ؟ .. لقد مرت شهور ومدام ريكامييه لا تزال عذراء كما كانت . حياة كلها غموض واسرار ، ولقد كان الحياء هو الذي يمنعها من ان تسأله عن سره ... سره الذي طال . أي انسان هذا الذي يحوطها بعطفه وحبه وحنانه ، ثم لا يقربها كما يقرب الازواج ؟... كانت تتعذب في صمت ، وتبكي للجمال يذوي بين يدي الحرمان ، ولا تجد الجرأة

على ان تفاتحه يوما بما يعتلج في نفسها : اليس رجـلا ؟ اليس زوجا؟الا يهزه هذا الجمال؟ الا يصير راهبا الا حين تربط بينهما المقادير؟ وتتلظى الكلمات على شفتيها كصفوف جيش اعدت للهجوم وتلتهب الافكار فيما بينها التهاب القنابل ٠٠٠ولكن حين تلتقي بزوجها وجها لوجه ، تموت الكلمـات ، وتخـور العزيمة ، وتخمـد الجرأة ، ولا يبقى الا الحيـاء يشل منهـا اللسان ، ويجعـل منها انسانـة ضعيفة مسلوبة الارادة ، كـانـت تتلهف الى شيء واحد ٠٠٠ هو ان تعلم سره ٠ ولكن سره الرهيب كان امنية بعيدة المنال ، وعاشت مدام ريكامييه وماتت ، دون ان تعلم شيئا ٠ لقد عاشت عذراء ، وماتت عذراء ٠

ثلاثة هم الذين كانوا يعلمون سر ريكامييه : الله ٠٠ وهو ٠٠ وامها ٠ اكان يمكن ان يبوح مسيو ريكامييه بسره الى زوجته ؟ الا ما اقسى سخرية القدر ٠٠٠ ايقول لهـا انه ابوها ، وانها ثمرة حبه من امها؟ امن الممكن هذا ؟ زوج واب ؟ وتريد ابنته ان يعاشرها كزوج ؟ ٠٠٠ انه يحنـو عليها كما لم يحن على انسان ، ويؤثرهـا بحبه وعطفـه ورعايته ، لينسيها على مر الزمن هـذا الذي تفكر فيـه ويرمض جوانبها بالعذاب ٠ واستطاع مسيو ريكامييه على الايام ان يحل الروح من نفسها محل الجسد وان يزيـح عن كاهلها كثيرا مما تعانيه ٠

أما لماذا تزوجها وهو يعلم انها ابنته ، فذلك سر آخر ٠٠٠ كان ريكامييه من انصار الملكية ، وكان ينتظر يومه الذي لا مفر منه على ايدي الثوار ٠ وكان يدرك ان المقصلة في انتظـاره ، واذا كانت قد اخطأته اليوم فلن تخطئه غدا ، فلمن يترك ملايينه بعد مصرعه ؟ ليس هناك مـن يستحقها غير ابنته جوليت برنارد ومن هنا تزوجها ليكفل لها حياة هنيئة ، يسعد فيها هذا الجمال الذي ينتسب اليه ٠٠ كان يخشى ان يثير الظنون اذا ما ترك لها ثروته دون علاقة تربط بينها وبينه ٠٠ ولكن المقصلة تخطئه ، والثوار يغفلون عنه ويقدر لمسيو ريكامييه ان يعيش ليتعذب واي عذاب اكثر من هول الشعور الذي يرزح تحت إثقاله ٠٠ الشعور بان زوجته هي ابنته ؟ لكم ود ان يطلقها ولكنـه لم يستطع ، انها ابنته ومن حقها وحدهـا ان تنعم بثروة ابيها ٠ وماذا يقول الناس وماذا يقول زوجها الاخـر اذا ما قدر لها ان تتزوج من بعده حين يكتشف انها خرجت من بيته وهي عذراء ؟ اليس في ذلك ما يجرح كرامته كرجـل يعتز برجولته ؟ اليس من المحتمل ان يكشف سره فيتهامس به الناس ، فلا يلبث ان يكون حديثا تجهر به الشفاه ؟٠٠ ويلح عليه العـذاب حـين يخلو الى نفسـه ، ويشعر ان زوجته ، تلك الزنبقة الغضة قد ارغمت على ان تعيش بسببه بين سفي الرمال ولفح السمائم ، شيء واحد كان يعجب له مسيو ريكامييه ولا ينتهي له عجب ، هو ما تتحلى به ابنتـه من طهر وعفاف ، على الرغم من ان حياتها الزوجية قد خلت من الرجل ٠٠٠ لقد كانت مدام ريكامييه محط انظـار الشباب وحديث امانيهم يتهافتون عليها في كل مكان مـن اجل نظرة او ابتسامة ٠ وما اكثر ما كانت تنظر اليهـم وتبتسم لهم وتضن عليهم بما دون ذلك ٠٠٠ انهـا امرأة وجميلة فلم لا تفيض على ركب المعجبين من هذا النبـع الفياض ، وهم الذين يشعرونها في كل لحظة بانها انسانة ساحرة ، تنطق بذلك وجوههم فلا حاجة الى مرآة ؟ من هنا كان ريكامييه يعجب بها ويعجب لها ، ويزداد حبه لزوجتـه وتقديره لابنته ٠٠٠ وكانت مدام ريكامييه تنسى مـرارة الحرمان حين ترمقها نظرات المعجبين ، وحين تنادي شفتيها شفاههم الظامئة فتمتنع وفاء للزوج ، واستجابة للضمـير وارضاء للدلال ٠٠٠ جمال تتقاذفه امواج الحرمان فحرم من نعيم الحياة وحرم معه الناس ، وزهرة نديـة بالعطر فواحة بالارج ، عاشت في تربة من عفاف وصون فعزت على القاطفين ٠

كان قصرها في (كليشى) اشبه بندوة عامرة يؤمهـا رجال السيف والقلم بين حين وحين ، وصالونا من تلـك الصالونات الفخمة التي كانت تذخر بها باريس ويقصـد

اليها المترفون من الرجال والنساء لتغذية العين والفكر والخيال ... وفي يوم من ايام قصرها الحافلة بالترف والايناس والمتعة ، يقع لمدام ريكامييه حادث يهز كيانها هزا عنيفا ، وتتذوق في ظلاله طعم الري ، وتنسى حرقة الظمأ ، وتشعر كما لم تشعر من قبل بانها امرأة • كان ذلك في حديقة القصر حين ركض وراءها ابن اختريكامييه وكان شابا جميلا من ذلك النوع الذي يخلب ألباب العذارى • وكانت هي تنفر منه في دلال ، وتضحك من عجزه عن اللحاق بها ، ولكنه يلحق بها ويحتويها بين ذراعيه ... وكادت تصعق من هول المفاجأة فراحت تقاوم في عنف ، ولكنها احست بوجهها يلتهب تحت انفاسه المحترقة ، وبشفتيها تذوبان في شفتيه ، وبكيانها يتلاشى في كيانه • وفي غمرة النشوة رأت نفسها تغيب معه في حلم جميل ، وتطوق عنقه بذراعيها وتدفن وجهها في صدره ، وتنظر في عينيه نظرة طويلة حالمة ... نظرة امرأة استيقظ في اعماقها الرجل • وحين افلتت من بين يديه تطلعت اليه كغزال مذعور ، وانطلقت الى القصر ... كانت تريد ان تخلو الى نفسها لتستعيد الحلم الجميل مرة اخرى •

وتمضي الحياة في طريقها تطوى الايام حتى تقف بمدام ريكامييه عند يوم لا ينسى ... لقد رآها نابليون في ذلك اليوم في حفلة من تلك الحفلات الصاخبة التي كان يمج بها قصر اخيه لوسيان •

كان لوسيان يهيم بها ويتقرب اليها ، ويلقي الى الصيد الجميل بكل ما شاء من شباك ، ولكنه لم يكن يظفر الا بابتسامة عذبة تحمل اليه كثيرا من المعاني .. ولوسيان من هو ؟ جمال تحلم به كل فاتنة ، ووزير الداخلية واخو القنصل الاول والحاكم بامره • وعلى كثرة الوجوه الفاتنة التي كانت تزخر بها حجرات القصر وردهاته فان نظرات بونابرت النفاذة لم تستقر الا على وجه مدام ريكامييه ، وحين مرت به لعوبا كما مرت بغيره ، راح يسال الجنرال برنادوت عن هذا الجمال الذي لم يحفل بنظرات القنصل الاول :

ــ برنادوت ... اتعرف هذه الفاتنة ؟

ــ أية فاتنة يامولاي ؟

ــ تلك التي تتحدث الى اخي لوسيان ..

ــ اتعني مدام ريكامييه يا صاحب الجلالة ؟

وهتف بونابرت بصوت حالم : مدام ريكامييه ... يا لها من امرأة •

وغادر المكان وفي رأسه ثورة تحتدم ... لقد قرر ان ينالها مهما يكن الثمن ، وان يخوضها معركة حامية .. ضد امرأة ..

ويا لها من معركة كانت اسلحتها من اهداب وجفون .. معركة لم يكن مقدر لها ان تطول وان تنتهي بهزيمته •

لقد جرب القائد الشجاع كل سلاح ، واستنفد كل خطة وحارب في كل ميدان ، وحين باء بالخذلان راح يصب نقمته على الجمال الغادر ... وابتدأت حياة العذاب ، تلفح بنارها الوجه المشرق والثغر الباسم ، والعينين الساحرتين .. وعلى مر السنين ، وتحت وطأة الشجن ، ذبل الشباب النضر ، وسكت الصوت العذب الا من انات •

لقد بدأ النضال بين بونابرت ومدام ريكامييه في ذلك اليوم الذي قبض فيه على ابيها ، اعني زوج امها ليحاكم في اليوم التالي في الخيانة العظمى ... كان الرجل مديرا عاما للبريد ، وكان من الذين يدينون بالولاء للنظام الملكي ، فاشترك في ايصال بعض المكاتبات للحزب الملكي الذي كان يعمل في الخفاء ضد الحكم القنصلي .. لقد خارت قواها في ذلك اليوم من هول الصدمة ومضت تنشد العون عند كل صديق ، لتبعد شبح المقصلة عن الرجل الذي كانت تظنه اباها • ويتوسط لها الجنرال برنادوت ، ويصحبها الى قصر التويلري لمقابلة القنصل الاول وكانت هذه هي المرة الثانية التي يرى فيها بونابرت مدام ريكامييه ... وخضع الجبار لسطوة الجمال القاهر فأمر بحفظ الدعوى والافراج عن الرجل

وخيل الى الصقر الفرنسي انه بهذا الصنيع الذي اسداه الى الحمامة الوديعة خيل اليه انه يستطيع ان يدنيها منه حين يشاء ، وأن يخضعها لرغباته ٠

وتدور عجلة الزمن ، ويصبح القنصل الاول امبراطورا تدين له فرنسا وما حولها بالطاعة والولاء ٠ وعلى الرغم من احلامه وامانيه ٠٠٠ عرض عليها ان تكون وصيفة لزوجته الامبراطورة فاعتذرت منقبولهذا الشرف في لطف ولباقة ٠

كانت خطة محكمة رسمها القائد العظيم لينهي بها المعركة التيطالت ، وكان يهدف من ورائها الى ان يدني منه مدام ريكامييه ٠٠ وحين الح عليها ان تقبل ما عرضه عليها اعتذرت مرة اخرى في عزم واباء ٠٠ كل شيء قد خضع لنابليون الا مدام ريكامييه ٠ ومن هنا اعلنها حربا سافرة لا تبقي ولا تذر وتحت ضرباته الرهيبة المتوالية هوى الجمال النادر من قمة الثراء الى حضيض الفاقة ، وفقدت مدام ريكامييه كل صديق ، وانطلقت الاراجيف تنال من سمعتها كل منال ، ولقي كل من ينتسب اليها اعنف الوان الاضطهاد والتشريد ٠٠ هذه صديقتها الكاتبة الفرنسية الشهيرة مدام دي ستايل يلقي بها بونابرت بعيدا عن ارض الوطن ولا يلبث ان يلحق بها صديقها الاخر بنجامان كونستان ٠ اما مسيو ريكامييه فقد امر بونابرت بان يقطع عنه بنك فرنسا كل معونة مالية ، واسرع الناس يسحبون ودائعهم من مصرفه ، وحين اوشك على الافلاس لم تجد مدام ريكامييه بدا من ان تتوسل الى الجنرال مينو حاكم باريس ليشفع لها لدى الامبراطور ٠٠٠ ويرفض بونابرت ويصيح بشماتة صارخا في وجه صديقه ٠٠

ـ قل لمدامريكامييه انني لستعشيقا لها حتىانتشلها من مهاويها ٠٠٠ وهكذا تردى مسيو ريكامييه الى هوة الفقر والشقاء ، وذاقت معه مدام ريكامييه طعم البؤس والحرمان كما لم يذقه انسان ٠

وحين فقدت امها وهي آخر احبابها واعز امانيها ، قررت ان تهجر فرنسا ارض العذاب ، لتلحق بصديقتها الوفية مدام دي ستايل ٠ وهناك على شاطيء بحيرة ليمان في سويسرا ، التقى قلب بقلب ، وتصافحت روح وروح ، وامتزجت دموع بدموع ٠ وفي رحاب صديقتها وعلى مر الايام استطاعت مدام ريكامييه ان تنسى بعض آلامها ، وان تجد لقلبها بعض العزاء ٠٠ لقد التقى بها احد الامراء البروسيين ، وكان له من جماله وشبابه ونبل محتده ما الهب عواطفها الخامدة ٠ وحين صارحها بحبه تفتح له قلبها المغلق ، كما تتفتح الزهرة تحت انداء الفجر ٠٠٠ وراحت تكتب الى زوجها مسيو ريكامييه ، طالبة اليه ان يطلقها لتتزوج من الرجل الذي أحبها وأحبته ، وعندما تلقى رد زوجها من باريس لم تملك أن تبلل سطوره بالدموع ، ومضت تقرأ ، وهي لا تكاد تتماسك من الاسى واللوعة ، « عزيزتي جولييت ٠ لم أكن انتظر أن أفقد كل شيء في دنياي حتى زوجتي الحبيبة ٠٠٠ ذلك الامل الاخير الذي كان يسطع في أفق حياتي ، فينير لي الطريق ٠٠٠ ما أقساك يا جولييت ؟٠٠٠ انك لا ترحمين وحدتي وغربة روحي ٠ أتريدين أن تتخلي عني ، لانني أصبحت فقيرا ؟٠٠ انا الذي ضحيت بمالي في سبيل اسعادك ٠٠ ان كان ذلك يسعدك يا جولييت ، فلا يسعني الا أن أفسح لك الطريق، والا أن أدعو لك الله ، دعاء تباركه الدموع » ٠

وحين فرغت من تلاوة رسالته الحزينة ، تطلعت الى الامير أوجست وهي تقول له : يا صديقي ، أرجو أن تغفر لي ٠٠ لقد عدت الى قلبي أسأله ، فوجدت ان زوجي هو الرجل الوحيد الذي أحببته ٠٠٠ لك دعواتي ، ووداعا وشدت رحالها مرة اخرى الى فرنسا ٠٠٠ الى ارض العذاب، فما عادت تطيق البقاء في ذلك المكان الذي لف حبها في اكفانه ٠

والى جانب مسيو ريكامييه راحت في مأتم الاحلام تقتات على بقايا الذكريات ٠٠٠ ولكن الذكريات تلح على

القلب الحزين فيطول ليلها ويطول أرقها في رحاب الشجن• ويشير عليها الاطباء بتناول بعض المخدرات لتمنع عن نفسها الارق فلا يفلح الدواء •• ويخطر لها ذا تيوم ان تضع حدا لهذه الحياة المريرة ، فتتناول زجــاجة فيها سائل مميت ، وحين تهم بوضعها على شفتيها يسرع ريكامييه وهو لا يملك نفسه من الفزع ••• ويختطفها من بين يديها وهو يصيح صيحة ملتاعة : •• ابنتي •• ابنتي •• وتطلعت اليه في ذهول كمن أفاق من حلم مروع واخذت تنظر الـى عينيه كانما تريد أن تستل من اعماقهما سر ما نطق بـه لسانه ••• وحين اوشك ريكامييه ان يفضي اليها بسره الرهيب دخل ابوها برنار وانتابها شعور خفي لم تدري له كنها ، شعور فيه حيرة تجلت في عينيها تساؤلا ولهفة ، ومضت تنقل بصرها بين الرجلين ، وصــاحت ترتمي في احضان برنار ••• ابي ••• أحبك يا أبي • اما ريكامييه فكان يغالب دموعه وعلى الرغم من كل هذا العذاب ، فقد امر نابليون في نفيها الى خارج فرنسا حين علم ان بعض الرسائل تصلها من مدام دي ستايل ، تلك الكاتبة التـي أصلته بقلمها نارا حامية هي وصديقها كونستان •••

ومرة اخرى يممت شطر صديقتها الوفية ، والتقى قلب بقلب وتصافحت روح وروح وامتزجت دموع بدموع •

وحين دالت دولة الجبار ، عادت من جديد الى أرض العذاب لتقضي بقية حياتها في أحد الاديرة ، بعيدا عـن الناس • وفي مكانها هذا المنعزل يقضي الى جانبها امير النثر الفرنسي شاتوبريان اكثر اوقاته ، ويضفي عليهـا من عذوبة روحه ، وسحر حديثه ، وذوب قلبه ، ما يعزيها عن فقد الاحباب ، ولكن أين من يعزيها عن فقد الشباب ؟ لقد أطفأت الايام بريق عينيها ، وعبثت بنضارة وجهها ، وحكمت على شبابها بالافول •

وقالت وهو يعرض عليها أن تكون شريكة حياته •• يا صديقي ••• ان حبك لي هو آخر واحة ترسل ظلالا في صحراء حياتي ••• ولكن من سبقوني الى الله ، تهتف بي أن أظل كما كنت ••• مدام ريكامييه •• ومع ذلك فماذا يجدي من التقاء قلبينا وضم جسمينا ، ونحن نحث الخطى الى القبر ؟•

وهكذا عاشت مدام ريكامييه ••• وكانت حياتها كلها شقاء ••• شقاء مقدس •

انور المعداوي

مـراتب الشـعر

قال الجاحظ : يقال للمجيد من الشعراء فحل ، ولمن دونه مفلق ، ثم شاعر ، ثم شويعر ، ثم شعرور ، وقيل أقسام الشعر أربعة : ضرب حسن لفظه ومعناه ، واذا نثر لم يفقد حسنه ، نحو :

في كفــه خــيزران ريحهــا عبــق — مــن كــف أروع ، في عرنينــه شــمم
بغضي حيــاء ، ويغضي من مهــابته — فمــا يكلــم الا حــين يبتســم

وضرب حسن لفظه وحلا معناه ، نحو :

ولمـا قضينا مـن منـى كـل حـاجـة — ومسـح بالأركـان مـن هـو ماسـح
أخـذنـا بأطراف الأحـاديث بيننـا — وسـالت بأعمـاق المطـي الأبـاطـح

وضرب جاد معناه وقصر لفظه ، نحو :

خطـا طيف حجـن ، في حبـال متينـة — تحـده بهـا أيـد اليـك نوازع

وضرب قصر معناه ولفظه ، نحو :

ان محــلا وان مــرتحــلا — وان للســفر – ان مضوا – شــغلا

البلبـل الغريب

مهداة الى حفيدي محمد

سلي الجمر هل غالى وجن وعذبا — كفرت به حتى يشـوق ويعذبا
ولا تحرميني جـذوة بعد جذوة — فما أخضل هذا القلب حتى تلهبا
وما نال معنى القلب الا لأنــه — تمرغ في سكب اللظى وتقلبـا
هبيني حزنا لــم يمر بمهجة — فما كنت ارضى منك حزنا مجربا
وصوغيه لي وحدي فريدا واشفقي — على سره المكنـون أن يتسربا
مصونا كأغلى الدر عز يتيمـه — فأودع في ، أخفى الكنوز وغيبا
وصوغيه مشبوب اللظى وتخيري — لآلامه ما كـان أقسى وأغربا
وصوغيه كالفنان يبدع تحفـة — ويرمقها نشوان هيمان معجبا
فما الحزن الا كالجمال ، أحبه — وأترفه ما كان أنـأى وأصعبا
خيالك يـا سمراء مر بغربتي — فحيا ورحبنا بغـال ورحبـا
أرى طيفك المعسول في كل ما أرى — وحدت ولكن لم أجد منه مهربا
شكونا له السمراء حتى رثى لنا — وجرأنا حتى عتبنـا فأعتبـا
وناولني من ارز لبنـان نفحة — فعطر احزاني وندى وخضبـا
وثنى بريـا الغوطتين يذيعها — فهدهد احـلامي وأغلى وطيبا
وهل دللت لي الغوطتـان لبانة — أحب من النعمى وأحـلى وأعذبا
وسيما من الاطفال لولاه لم أخف — ـعلى الشيب ـ أن أنأى وأن اتغربا
تود النجوم الزهر لو انها دمى — ليختار منها المترفات ويلعبـا
وعندي كنوز من حنـان ورحمة — نعيمي أن يغرى بهن وينهبـا
يجور وبعض الجور حلو محبب — ولم ار قبل الطفـل ظلما محببا
ويغضب احيانا ويرضى ، وحسبنا — من الصفو ان يرضى علينا ويغضبا
وان ناله سـقم تمنيت انني — ـ فداء له ـ كنت السقيم المعذبا
ويوجز فيما يشتهي ، وكـأنه — بايجازه دلا أعاد وأسهبـا
يزف لنا الاعياد ، عيدا اذا خطا — وعيدا اذا ناغى · وعيدا اذا حبا
كزغب القطا لو انه راح صاديا — سكبت له عيني وقلبي ليشربا

وأوثر أن يروى ويشبع ناعما … وأظمأ في النعمى عليه وأسغبا
وألثم في داج من الخطب ثغره … فأقطف منه كوكبا ثم كوكبا
ينام على اشواق قلبي بمهده … حريرا من الوشي اليماني مذهبا
وأسدل أجفاني غطاء يظله … ويا ليتها كانت أحن وأحدبا
وحملني ان اقبل الضيم صابرا … وارغب تحنانا عليه وارهبا
فأعطيت اهواء الخطوب اعنتي … كما اقتدت فحلا معرق الزهو مصعبا
تأبى طويلا ان يقاد .. وراضه … زمان فراخى من جماح وأصعبا
تدلهت بالايثار كهلا ويافعا … فدللته جدا وارضيته أبا
وتخفق في قلبي قلوب عديدة … لقد كان شعبا واحدا فتشعبا
ويا رب من اجل الطفولة وحدها … افض بركات السلم شرقا ومغربا
ورد الاذى عن كل شعب وان يكن … كنودا ، وأحببه وان كان مذنبا
وصن ضحكة الاطفال يا رب انها … اذا غردت في موحش الرمل أعشبا
ملائك لا الجنات انجبن مثلهم … ولا خلدها ـ استغفر الله ـ انجبا
ويا رب حبب كل طفل فلا يرى … وان لج في الاعنات وجها مقطبا
وهيء له في كل قلب صبابة … وفي كل لقيا مرحبا ثم مرحبا
ويا رب ان القلب ملكك ان تشأ … رددت محيل القلب ريان مخصبا
ويا رب احزاني وضاء كأنني … سكبت عليهن الاصيل المذهبا
ترصد نجم الصبح منهن نظرة … واشرف من عليائه وترقبا
فأرخيت آلاف الستور كأنني … امد على حال من النور غيهبا
فغور نجم الصبح يأسا وما رأى … ـ على طهره ـ حتى بنا نام مخضبا
وقد تبهر الاحزان وهي سوافر … ولكن احلاهن حزن تنقبا
ويا رب عز من امية لا انطوى … ويا رب نور وهج الشرق لا خبا
واعشق برق الشام ان كان ممطرا … حنونا بسقياه وان كان خلبا
واهوى الاديم السمح ريان مخصبا … سنابله نشوى ، وأهواه مجدبا
مآرب لي في الربوتين ودمر … فمن شم عطرا شم لي فيه مأربا
سقى الله عند اللاذقية شاطئا … مراحا لاحلامي ومغنى وملعبا
وأرضى ذرى الطور الاشم فطالما … تحدى وسامي كل نجم واتعبا
وجاد ثرى الشهباء عطرا كأنه … على القبر من قلبي أريق وذوبا

وحيا فلم يخطىء حمـــاة غمامة ... وزف لحمص العيش ريان طيبا
ونضر في حوران سهلا وشاهقا ... وباكر بالنعمى غنيـــا ومتربا
وجلجل في ارض الجزيرة صيب ... يزاحم في السقيا وفي الحسن صيبا
سحائب من شرق وغرب يلمها ... من الريح راع اهوج العنف مغضبا
له البرق سوط لا تنـد غمامة ... لتشرد الا حز فيها وألهبـــا
يؤلفهـــا حينا وتطفر جفــلا ... وحاول لم يقنط الى ان تغلبـــا
أنخن على طول السماء وعرضها ... يزاحم منها المنكب الضخم منكبا
فلم أدر هل أم السمـــاء قطيعه ... من الغيم ام ام الخباء المطنبـــا
تبرج للصحراء قبل انسكابه ... فلو كان للصحراء ريق تحلبـــا
وتعذر طل الفجر لم يرو صاديا ... ولكنه بل الرمـــال ورطبـــا
ويسكرها أن تشهد الغيم مقبلا ... وان تتملاه وأن تترقبـــــا
كأن طباع الغيد فيــه فان دنا ... قليلا نأى حتى لقد عز مطلبـــا
ويطمعها حتى اذا جن شوقهـا ... اليه انثنى عن دربها وتجنبـــا
تعد ليالي هجره ، وسجيــــة ... بكل مشوق أن يعـــد ويحسبا
ويبده بالسقيا على غـــير موعد ... فما هي الا «لمحـــــة» وتصببا
كذلك لطف الله في كل محنـــة ... وان حشد الدهر القنوط وألبا
الى أن جلاها كالكعـــاب تزينت ... لتحسد من اترابها او لتخطبـــا
ومرت على سمر الخيـــام غمامة ... تجر على صاد من الرمـــل هيدبا
نطاف عذاب رشها الغيم لؤلؤا ... وتبرا فما أغنى وازهى وأعجبا
وطاف لغمام السمح في البيد ناسكا ... الى الله في سقيا الظماء تقربـــا
عواطل مر المزن فيهن ضائعـــا ... ففضض في تلك لسهول وذهبا
وردالرمال السمر خضرا وحاكها ... سماء وأغناها ورش وكوكبـــا
وحرك في البيد الحياة وسرهـــا ... فما هامد في البيـــد الا توثبـــا
ولاعب في حال من الرمل ربربـــا ... وضاحك في غال من الوشي ربربا
وجمع ألوان الضيـــــاء ورشها ... فأحمر ورديا وأشقر أصهبـــا
واخضر بين الايك والبحر حائرا ... وابيض بالوهج السماوي مشربا
ولونا من السمراء صيغت فتونه ... بياضا ، نعم لكن بياضا تعربا
أتدري الربى أن السماوات سافرت لتشهد دنيـــانا فأغفت على الربى ؟

برانتراد راسل

ترجمة

• صدقي حطاب •

الفيلسوف الذي سعى الى الارتباط بمشاكل العصر

في ليلة الاثنين الثاني من فبراير (شباط) ١٦٢٠ مات ايرل رسل (عضو الجمعية الملكية والحائز على وسام الاستحقاق) في منزله في مقاطعة ميرونث ، وقد بلغ من العمر السابعة والتسعين .

تقوم أحقية برتراند راسل في أن يذكره التاريخ على أساس وطيد ألا وهو مؤلفاته في المنطق الرياضي والرمزي ، وفي الفلسفة ، تلك المؤلفات التي جعلت تأثيره شاملا وعميقا . ان قصة المنطق الرمزي وفلسفة الرياضة في القرن العشرين هي قصة توسع البناء الشامخ الذي وضع أسسه رسل وفريجيه . لقد جرت أعمال رئيسية في تجديد البناء ، ولكنها كانت أعمالا من الداخل . ففي الفلسفة العامة عندما نفكرفي مور ولودفج فتجنشتاين باعتبارهما مشكلي الفكر في النصف الاول من هذا القرن ، فاننا نكون حينئذ نفكر في رجال أثر فيهم رسل وأثروا فيه . ولم يترك رسل مريدين وحواريين وانما هناك بدلا من ذلك عشرات من الفلاسفة الذين دفعتهم الأسئلة ، التي كان رسل أول من سألها الى البحث والاستقصاء . ولم يكتف رسل بأن يجمع بين صلابة المتطرف وصدق الفنان وانما كان يجمع الى جانب هذا كله شعورا حيا بالمضحكات فاذا كانت هناك من سخافات منطقية مختفية ضمن تركيباته المجردة فانه يعرضها بلا رحمة وهو مبتهج بذلك . وقد أصبحت التناقضات التي لم يكن يتستر عليها تؤلف معضلات الفلسفة .

لقد تمثلت في رسل جميع صفات آل رسل ونزواتهم . كان يعبر عن رأيه دون أن يأبه بالنقد الذي قد يلقاه من الزعماء أو من أصحاب المعتقدات أو بالقانون الذي ألقى به في غياهب السجن مرتين .

لقد ظل طوال حياته حلية ومكسبا لأنواع مختلفة من القضايا العامة ، ومعظمها لم تكن تحظى بعطف شعبي وكانت آخر هذه القضايا – وأخطرها شأنا عنده – قضية نزع السلاح الذري من جانب واحد . كان رسل قد وصل في منتصف الثمانينات عندما ألقى بنفسه في خضم هذه القضية بحماس لا يخبو ، وقد استحوذ عليه شعوره بمسؤوليته في ايقاظ زملائه على الخطر المحيط بهم . كما سيطرت عليه جسامة الشر الذي يمكن أن تعود به هذه الأسلحة . وفي حدة استنكاره ، ومع النشاط المؤثر لقواه التي أخذت تضعف أخذ مكان التقدير الرزين للوسائل السياسية للخلاص من هذا المصير يبهت شيئا فشيئا أمام ناظريه .

لقد كان رسل هو رجل الفكر في القرن العشرين الذي حل مشكلة الاتصال ولعله أسبق الآخرين في انكلترا الى ذلك . فقد وجد رسل طريقه للاتصال بالعامة واستغلها حتى النهاية ولا سيما – وبشكل متعمد – في أخريات حياته . لم يكن هناك شيء جديد في هذه الطريقة . فالأمر لا يتجاوز التعبير عن أفكار واضحة بأسلوب واضح . ولكن ما أقل الفلاسفة أو الفنانين ممن عاصروه الذين استطاعوا أن يحققوا نصف ما حقق ويعادل هذا في الأهمية قدرته لا على استخدام اصطلاحات لغوية مفهومة لعامة الرجال والنساء وانما أيضا قدرته على استخدام اشارات مفهومة للعامة لأنها من صميم تجاربهم . فصاحبنا من الخاصة في نسبه ، وفي تألقه الفكري وفي عاداته العقلية وفي سلوكه ومع ذلك كان يخاطب العامة بيسر كما كانوا يصغون اليه بيسر . والسر في ذلك نجده في التناقض الظاهري وهو انه مع هذا كله كان يشترك معهم في أسلاف

من العامة · لقد كان فكره انجليزيا صميما ·

ولد برتراند آرثر وليم رسل (الايرل الثالث في آل رسل) في رافينز كروفت بالقرب من تنترن في مقاطعة مونمث في ١٨ مايو ١٨٧٢·وكان الابن الثاني للفايكاونت امبرلي وحفيد لورد جون رسل الذي أصبح في نهاية حياته السياسية ايرل رسل · وأمه كاترين ابنة اللورد ستانلي الألدرلي الثاني · وقد كان برتراند يشبه آل رسل كما كان أخوه الأكبر ، الايرل الثاني ، يشبه آل ستانلي · فقد وجدت عبقرية آل رسل تعبيرا عنها في مظهره وفي صفاته الفنية وفي تعدد مجالات تفكيره ، ورسل أول من يعترف بأن جانبا كبيرا من حياته قد جددته السنوات الأولى من حياته ، اذ لم يقصد بها أن تخرج مواطنا تقليديا · لقد تحول والده قبل ولادة برتراند من الايمان المستقيم الى اللا ارادية ، وماتت أمه وعمره سنتان ، ومات والده وعمره ثلاث سنوات ، فكفلته جدته ، التي كانت متزمتة وصارمة في مقاييسها الاخلاقية · كما وصفها وقد أبقت على وجود توحيد غامض في قصر بمبروك · وكان أبوه قد أوصى بأن ينشأ ولداه تنشئة لا ادرية ، وعين وصيين حري التفكير عليهما ، ولكن المحكمة لم تاخذ بالوصية وعينت قاضي القضاة وصيا على الطفلين ·

ظل برتراند رسل يعيش في البيت (حياة لم تكن سعيدة جدا) حتى ذهب الى كمبردج وتعلم في البيت على يد مربيات ومعلمين خصوصيين · وقد كانت كمبردج على صورة كتاب (تحليل العقل) نشر في عام ١٩٢١ · هي أول انطلاق له الى العالم الخارجي · كانت كما وصفها (عالما جديدا لا حد لبهجته) عابرا بالاصدقاء من امثال لويس ديكنسون ودكتور تريفيليان وماكتا جارت وجورج ادوار مور · وقد افتتن بماكتا جارت من تلاميذ هيجل أو بعبارة أدق من تلاميذ برادلي ولكن مور الذي كان أثره على ذلك الجيل كله في جامعة كمبردج عميقا وموفقا ابطل سحر هيجل ·

التحق رسل بكلية ترينيتي كدارس في عام ١٨٩٠ وكان ترتيبه السابع في درجة البكالوريوس فئة أولى في الرياضيات في عام ١٨٩٣ · ويمكن تفسير تدني تقديره نسبيا الى أنه لم يكن يهتم بالرياضيات لذاتها وانما كان يهتم بها لاعتبارها مثلا لمعرفة معينة ، لقد كان اهتمامه فلسفيا · وحصل في العام التالي على درجة البكالوريوس فئة أولى في العلوم الأخلاقية بامتياز فـذ · فلما ترك كمبردج أمضى بضعة شهور كملحق شرفي في السفارة البريطانية في باريس ، وبعد ذلك ارتحل الى برلين فدرس المسائل الاجتماعية والاقتصادية وقد جاءت ثمرة هذه الدراسة مبكرة في عام ١٨٩٦ حين ألقى في مدرسة الاقتصاد في لندن ست محاضرات عن ديمقراطية ألمانيا الاجتماعية · ولكنه ترك العمل السياسي الذي بدا وكأنه ورثه · انتخب في عام ١٨٩٥ محاضرا في كلية ترينتي ، وفي عام ١٨٩٦ حاضر في أمريكا عن الهندسة المغايرة لهندسة أقليدس · ونشر مقالا حول أسس الهندسة وقاده تحصيله في الرياضيات والفلسفة الى دراسة المفكر الذي كان أفضل مثل على الجمع بينهما · فنشر عام ١٩٠٠ كتابه الممتاز (عرض نقدي لفلسفة لايبنتس) وهو أول أعماله الكبرى ورفع في هذا الكتاب من قدر فكر لايبنتس كثيرا وأكثر مما كان يلاقي من تقدير في ذلك الحين ـ ولم يتحول عن هذا التقدير أبدا فقد وصف لايبنتس في كتابه (تاريخ الفلسفة الغربية) بأنه أحد رجال الفكر الأفذاذ في كل الأزمان » ·

ولا شك أن حكم رسل قد بني على اعترافه بلاينتبس « كرائد في المنطق الرياضي ، أدرك أهميته عندما لم يدركها أحد غيره » · وهذا هو الميدان الذي أنجز فيه رسل أكثر أعماله ثورة ، وقد شابه لايبنتس تماما في نظرته وفي انجازاته ·

وفي عام ١٩٠٣ لفت رسل الأنظار في مؤتمر

للرياضيات في باريس ، الى مؤلفات بيانو كما لفتها في عام ١٩٠٣ الى مؤلفات فريجيه · وفي ذلك الحين كان لهما أوثق التأثير على فكره · وبفضل هذه الاكتشافات ، وبفضل لايبنتس أعطى العالم في عام ١٩٠٣ كتابه (أصول الرياضيات) الذي كان الغرض منه « أولا بيان أن جميع الرياضيات تنبع من المنطق الرمزي ، وثانيا كشف أصول المنطق الرمزي نفسه ما أمكن ذلك » · وقد قصد بكتاب (أصول الرياضيات) أن يكون الجزء الأول الذي يتلوه جزء ثان يشتمل على عرض استنباط للنتائج · ولكن هذه المهمة نفذت في كتاب مستقل ألفه بالتعاون مع الفرد نورث وايت هيد ·

وبدأ في تأليف كتاب (أسس الرياضيات) في عام ١٩٠٠ وأتماه بعد عشر سنوات في ثلاثة أجزاء نشرت على التوالي في الأعوام ١٩١٠ و ١٩١٢ و ١٩١٣ · وأعيد نشر الكتاب مع مقدمة جديدة في عام ١٩٢٥ ، وفي السنوات التالية · وقدمت الجمعية الملكية التي انضم اليها رسل في عام ١٩٠٨ منحة لنشر الكتاب من أموال الحكومة · وكتب رسل فيما بعد ما يلي عن تأليف هذا الكتاب « ان فكري لم يشف تماما من الاجهاد أبدا · ولا شك أنني منذ ذلك الحين أقل قدرة على تناول التجريدات الصعبة كما كنت أتناولها من قبل » ·

ان كتاب (أسس الرياضيات) من الكتب الفاصلة في تاريخ الرياضيات والمنطق معا · فقد تحقق في هذا الكتاب بصورة أوفى وأفضل مما تحقق في أي كتاب سابق ـ تحويل الرياضيات الى فرع من فروع المنطق · وقد برزت في أثناء عملية التحويل في أيد ماهرة رمزية جديدة ذات قوة منطقية كبيرة ولقد كان أدوم ماقدمه رسل للفكر الفلسفي وأثبت سمة من سمات جميع كتاباته الفلسفية هو استخدامه لهذه القوة · ولقد سمى هو نفسه هذا الاسهام « الذرية المنطقية » ، وهذا تعبير يوفي مهارته ونفاذ بصيرته في التحليل المنطقي حقهما ـ في محاولته حل الأفكار المعقدة الى عناصر ان لم تكن بسيطة فانه لا يمكن دحضها ·

ان تفصيلات انجازات رسل التي تجعل المرء يتحدث دون أدنى مبالغة ـ بالنسبة للفكر البريطاني على الأقل ـ عن فلسفة ما قبل رسل وعن فلسفة ما بعد رسل ، هي موضوع اهتمام طالب الفلسفة · ولكن حتى رجل الشارع يستطيع أن يفهم قيمة تحرير التحليل المنطقي من طغيان النحو العادي والاعراب · لقد كان تقويم رسل المتواضع الذي قوم به في المرحلة المتأخرة من حياته انجازاته على النحو التالي « ان نفع تركيب الجمل الفلسفي بالنسبة للمشاكل التقليدية عظيم جدا » ·

وأحسن ما يوضح هذه النقطة تلخيص لأهم ما اكتشف رسل وهو نظرية الوصف التي طورها في مقالته « حول الدلالة » التي نشرها في مجلة ميند في عام ١٩٠٥ · ان عبارات مثل عبارة « رئيس الولايات المتحدة الحالي » قد سببت كثيرا من الازعاج الذي لا نفع منه للفلاسفة الذين حاولوا أن يجدوا معنى الوجود » · فلنفرض أنني قلت (ان الجبل الذهبي غير موجود) ولنفرض أنك سألت (ما هو الجبل الذهبي ؟) فانه يبدو أنني قلت (انه الجبل الذهبي) فانني أكون حينئذ أعزو اليه نوعا من الوجود · فالفرق في العبارتين (الجبل الذهبي) و (المربع الدائري غير موجود) في الألفاظ وحدها · ان كلا من (الجبل الذهبي) و (المربع الدائري) تدل على شيء يختلف عن الآخر بالرغم من أنهما غير موجودين · وهذه هي المشكلة التي حاول رسل أن يجابهها بنظرية الوصف فبموجب هذه النظرية تفسر جملة (سكوت هو مؤلف رواية ويفرلي) على أنها تقول (هناك كائن ما هو س بحيث أن عبارة (ص كتب رواية ويفرلي) صحيحة اذا كان س هو ص غير موجود (تعني) ليس هناك كائن ما هو س بحيث أن (ص ذهبي وجبلي) صحيحة عندما تكون س هي ص ، وليس غير ذلك) وهكذا

فان (الوجود) لا يمكن أن يكون غير تأكيد للأوصاف ولعل رسل لم يكن يبالغ حين تحدث عن هذه النظرية فوصفها بأنها عملت على (انقشاع ألفي سنة من الاضطراب الذهني حول الوجود) بادئة بمحاورة لأفلاطون ·

وقد استخدم رسل خلال خمسين عاما من التأليف الفلسفي قوة هذا الاسلوب المنطقي الهدامة في فحص المشاكل التقليدية والفلسفات التقليدية ، وسواء أكانت استنتاجية مقبولة أم غير مقبولة فانمجرد استعمالالاسلوب كان مصدرا للتوضيح والتنوير ولا سيما في تحليله للعلاقات وللفئات ولاستمرار اللا نهاية والصور اللغوية· وأخلد أعمال رسل العظيمة مده المستمر للشك المنهجي الى كل ميدان من ميادين البحث الفلسفي ·

ان ما يميز تجريبية رسل التحليلية الحديثة ـ كما يقول هو نفسه ـ عن تجريبية لوك وباركلي وهيوم هو وحدة الرياضيات وتطور اسلوب منطقي قوي · لقد كانت المعرفة التجريبية والمعرفة الاستنباطية هما النوعين الوحيدين من المعرفة اللذين كان رسل على استعداد للاعتراف بهما · لقد كان يبحث عن اجابات على مسائل الفلسفة التي كان (صفة العلم أكثر من صفة الفلسفة)· وقد اعترف بأنه قد توجد هناك مسائل لا يستطيع العلم والفكر أن يجد أجوبة لها ، ولكنه رفض أن يعترف بأن هناك طريقة أخرى ، حديثة أو غير ذلك يمكن أن تعطى أجوبة ·

ولعل تجريبية رسل هي أصوب ما في تطفلاته على الفلسفة السياسية ، وهي تطفلات شاذة ، ولكنها لطيفة في الاغلب · فلم يكن رسل فيلسوفا سياسيا · ولكن رجلا ولد وفي عروقه دماء آل رسل قد لا يستطيع أن لا يحمل روح لوك كتب في عام ١٩٤٧ في كتابه (الفلسفة والسياسة) يقول « ان الفلسفة الوحيدة التي تقدم تبريرانظريا للديمقراطية ، والتي تتفق معالديمقراطية في مزاجها العقلي هي التجريبية · التي بين لوك الذي يمكن اعتباره مؤسس التجريبية مدى الترابط الوثيق بين هذا وبين آرائه حول الحرية والتسامح · ومن هنا مضى رسل يقول « ان جوهر النظرة الليبرالية لا يمكن في نوع الاراء المتبناة وانما في طريقة تبنيها ، فهي تتبنى بشكل تجريبي بدلا من أن تتبنى بشكل جازم · غير انه لا يمكن القول بأن رسل قد التزم بهذا المبدأ في جميع تصريحاته وخطبه العامة ·

رشح رسل نفسه في عام ١٩٠٧ للبرلمان عن منطقة ويمبلدون مطالبا بحق المرأة في الانتخاب ولكنه فشل · ولكن حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ هي التي هيأت متنفسا لواقع لم يشبع عنده هو دافع الخير · فقد انخرط بدون تردد وباخلاص في حملة السلام · وقد جعلته النتائج السيئة مركز عاصفة وطنية ، ولا نستطيع أن نثبتها هنا الا مجملة · اكد رسل في صحيفة التايمز أنه مؤلف نشرة عن (رابطة عدم التجنيد) ومن ثم حكمعليه مقر رئيس بلدية لندن بغرامة قدرها مئة جنيه وأبعد بطريقة تعسفية ووضيعة عن التدريس في كلية ترينتي ·وصودرت مكتبته هناك لتسديد الغرامة · وكان من المفروض أن يذهب في خريف عام ١٩١٦ الى جامعة هارفارد ليحاضر فيها ولكن المسؤولين في هارفارد أفهموا أن الحكومة البريطانية لا ترى أن من المصلحة العامة اصدار جواز سفر له يمكنه من مغادرة البلاد · ومنع في سبتمبر من ذلك العام من دخول أية منطقة محظورة كما أن كتيب العدل ابان الحرب الذي اصدره فيما بعد ، وشبه فيه تحارب الامم بعراك الكلاب تستفز رائحة فريق منها الفريق الاخر جلب له سخطا عظيما · واخيرا حكم عليه في فبراير (شباط) من عام ١٩١٨ في محكمة شرطة العاصمة في لندن بالسجن ستة أشهر لانه علق في نشرة رابطة عدم التجنيد على الجيش الاميركي تعليقات (قصد بها ـ ومن المحتمل ان تؤدي الى ـ اساءة العلاقات بين حكومة

جلالته وبين الولايات المتحدة) • وعندما استؤنف الحكم حول القاضي السجن من الدرجة المتوسطة الشدة الى الخفيفة •وكتب في أثناء فترة سجنه كتابه (مقدمةللفلسفة الرياضية) وبعد الحرب أرخى لعقله العنان فجال فيجميع الدراسات الانسانية تقريبا • زار روسيا في عام ١٩٢٠ مع وفد حزب العمال البريطاني فلم يعجب (بدكتاتورية البلشفيين العسكرية) • وأعلن على الفور تحذيره الاول من حقيقة البلشيفية ــ في كتابه (التطبيق والنظرية في البلشفية ــ وظل ينتقد الشيوعية السوفياتية حتى في اثناء حرب ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ وعندما وصلت شعبية رسل الى ذروتها وجاءت بعض محاضراته التي ألقاها في لندن على صورة كتاب (تحليل العقل) نشر في عام ١٩٢١ وذهب في اثناء عام ١٩٢٠ الى الصين لمدة قصيرة كأستاذ للفلسفة في جامعة بكين • ومن ثمرات هذه الزيارة كتابه (مشكلةالصين) الذي كان مشجبا علق عليه عداءه للحضارة الغربية واليابانية وعندما رجع من الصين رشح نفسه فيمنطقةشيلسي عن حزب العمال فيعامي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ ولكنه فشل • وقد كتب بالتعاون مع زوجته الثانية كتابه (مستقبل الحضارة الصناعية) بين كتابيه (الذرات) ١٩٢٣ و (الف باء النسبية) ١٩٢٥ وهما كتابان يمتازان بالشرح الجميل الواضح •

وقد أدى اهتمامهما (هو وزوجته) بالتربية الى اقامة مدرسة في عام ١٩١٧ بالقرب من بيترز فيلد ، ومنح الاطفال فيها قدرا كبيرا من الحرية ونقلت زوجته المدرسة في عام ١٩٣٤ الى مقاطعة هيرتفورد • وكتب حول هذا الموضوع كتابين هما (في التربية) عام ١٩٢٥ و (التربية والنظام الاجتماعي) عام ١٩٣٢ وفيهذين الكتابين اسراف في الحديث عن الاتجاهات الحديثة • وظهر بين هذين الكتابين كتاب (تحليل المادة) وهواستعراض رائع للفيزياء الحديثة مع استنباطات ميتافيزيقية اكثر عرضة للجدل • وتلته كتب أخرى هي « الموجز في الفلسفة » و (مقالات في الشك) و (الزواج والاخلاق) و (اكتساب السعادة)• ونشر في عام ١٩٣٤ أهم أعماله خارج ميداني المنطق والفلسفة وهو كتاب (الحرية والتنظيم) وقد تتبع فيه الاسباب الرئيسية للتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أوربا وامريكا خلال القرن التاسع عشر • وقد غطى هذا الكتاب كتابه الضخم (تاريخ الفلسفة الغربية) حين حاول أن يرى الافكار منخلال اطار العصر الذي ولد هذه الافكار • ولكنه يختلف في تأليفه عن الكتاب الثاني ، فالتركيب فيه اكثر من التحليل ويضم شيئا من كتاباته المضيئة •

وبالرغم من أن نجاح قوة حمقى كالهتلرية هز كثيرا من نزعاته العقلية ــ كما هز الكثيرين ــ وجعله يهجر دعوته الى السلام ، وبالرغم من انه حاول (ولكنه فشل) ان يحلل طبيعة القوة في كتاب مشهور كان يفتقر الى التجهيز السياسي الذي يمكنه من تحقيق وصف شاف لمشكلة القرن العشرين السياسية • ويظهر هذا في محاضراته التي القاها في عامي ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ في برنامج محاضرات ريث وهي بعنوان (السلطة والفرد)• فقد أخطأ في اختيار الموضوع الذي تحدث عنه ولكنه لم يشك في قدرته على ربط الافكار المعقدة بتجارب الناس العاديين اليومية •

واصبح رسل في السنوات الاخيرة عرضة لان يغدو شخصية شعبية بل ومبجلة فقد منح في عام ١٩٥٠ جائزة نوبل في الادب وكان قد منح قبل ذلك بعام وسام الاستحقاق وفي عام ١٩٥٣ انتخب مشاركا شرفيا في معهد نيويورك الوطني للفنون والاداب وهو الذي قد حكم عليه من قبل بعدم اللياقة لشغل الكرسي الجامعي في احدى الجامعات الاميركية وقد كان يمكن ان تكون شيخوخته صافية كشيخوخة فيلسوف عاقل وحكيم اليف مكرم يصغي اليه بود واحترام ويعطي بين الحين والاخر التعليق الساخر والحاد بما يبقي على اسطورة التأثر خية •

ولكنه اختار سبيلا غير هذا ، فلا زالت تتردد في

الذاكرة أصداء كلمة أذاعها في عام ١٩٥٤ بعد انفجار القنبلة الهيدروجينية الاولى حين ارتفع صوته النحيل الرتيب يملؤه زخم محايد لبني (تذكروا انسانيتكم وانسوا ما دون ذلك · فاذا استطعتم ان تفعلوا ذلك فان الطريق أمامكم مفتوح الى الجنة الجديدة فان لم تستطيعوا فليس أمامكم سوى الموت الشامل) وهو تحذير ظل يكرره بصوت حاد ومرتفع حتى وافته المنية ·

لقد ساعد في ولادة حملة نزع السلاح في فبراير عام ١٩٥٨ واصبح رئيسها وحاول قبل هذا وبعده حشد آراء العلماء لتأييد وجهة نظره · وفي سيتمبر من عام ١٩٦٠ ضاق ذرعا باسلوب حملة نزع السلاح النووي المتقيد بالقانون وجد أن رئيسها كولينز شخصا (من المستحيل العمل معه) فانشق عنها مؤلفا لجنة المائة (للعصيان المدني ضد الحرب النووية) · وقد اثبت العصيان انه من النوع المنظم واستمر رسل الذي كان قد ادرك الثامنة والثمانين حينئذ ـ يطوف البلاد طولا وعرضا داعيا للحملة ، ويصدر البيانات العاجلة للصحف وينظم المظاهرات العامة بقدر ما كانت صحته تسمح له · ودأب على ارسال برقيات التحذير لزعماء العالم ولا سيما في عنفوان الازمة الكوبية في اكتوبر عام ١٩٦٢ ·

ومرة أخرى أدى به تحديه للسلطة الى السجن في ستيمبر عام ١٩٦١ فقد استدعي ومعه بعض أعضاء لجنة المائة الى المحكمة لتحريضهم على خرق السلام بدعوتهم الى مظاهرة بالجلوس في ميدان البرلمان · ولما رفض ان يتعهد بأن يكون حسن السلوك حكم عليه بالسجن لمدة شهرين وخفض القضاة المدة الى سبعة ايام على أثر احتجاج محامي رسل · وقضى مدة الحكم في سجن بريكتسون الذي عرفه قبل ثلاثة واربعين عاما ·

وفي مطلع عام ١٩٦٣ استقال رسل من رياسة لجنة المائة ومن الاسباب التي أوردها في تبرير هذه الاستقالة انه اصبح مشغولا بعمل من نوع آخر وان كان موجها الى نفس الغاية · وفي أواخر ذاك العام أعلن عن اقامة مؤسستين هما مؤسسة برتراند رسل ومؤسسة الاطلسي للسلام، ويهدفان الى تنمية المقاومة الدولية لتهديد الحرب النووية ، وازدادت عزلته في السنوات الاخيرة من حياته ، حيث كان يعيش في بلاس بنديين في بيته الريفي في شمال ويلز ، وظل أمين سره السيد رالف شومان يصرف معاملات رسل مع العالم الخارجي فترة من الزمن بينما أخذت مشروعاته العامة التي ربط اسمه بها تزداد غرابة كمحكمته الدولية لجرائم الحرب التي قضاتها من رجال الفكر المشهورين الذين حاكموا الولايات المتحدة غيابيا على التهم الناشئة عن سياستها في فيتنام ، وبعد أن واجهت المحكمة بعض الصعوبات بخصوص مكان عقدها عقدت جلستها الاولى في استوكهولم وأصدرت قرارها بالاجماع بتجريم الولايات المتحدة ·

ولقد كان نشاط رسل مثيرا للجدل وملهما لفريق من الناس ورآه الفريق الاخر مضحكا أو موجها في غير وجهته الصحيحة · وقد حجب هذا النشاط في السنوات الاخيرة من حياة رسل انجازات عمره المديد الخارقة » أثره على الفلسفة · وشيء آخر على الجمهور أن يتذكره جيدا هو وعبقريته في تبسيط أوابد الافكار وصعابها · وقد امتلك ناصية اسلوب جعله في مصاف باركلي وهيوم اللذين حليا الادب والفلسفة · وسواء أكتب بالرموز أم بالالفاظ فانه كان بارعا في كليهما وسلسا في كليهما · ويحسده كل من يحاول الكتابة لطباقه المحكم ولثقته الزائدة بنفسه الرائعة ولقسوته المهذبة في محاوراته ولتناقضاته الباهرة ولذكائه ومرحه · وعندما يكتب رسل ويتدخل في العاطفة ويتقمص الثائر الفيلسوف ، فان كتابته يجب أن توضع في مصاف أشرف ما كتب في اللغة الانكليزية · وكان ايضا فارسا من فرسان المذياع

وقد ألقى بعد الحرب عدة سلسلات من الاحاديث الاذاعية التي لاتنسى ·

ان الصورة الموجزة التي رسمها رسل لاعلام معاصريه تمتاز بالوضوح والبراعة وشيء من السخرية وشيء من العطف وهي تذكرنا بحيوية صور (اسكتشات) جون أوبري البارعة · وقد نشر رسل في عام ١٩٦٧ الجزء الاول من سيرته وهو يشمل الفترة الواقعة ما بين ١٨٧٢ ـ ١٩١٤ ثم أعقبه بجزأين آخرين·

تزوج رسل أربع مرات وكانت زوجته الاولى أليس ويتال بيرسول · وقد انحل هذا الزواج في عام ١٩٢١ ، فتزوج في نفس العام دورا وينفرد وانحل هذا الزواج في عام ١٩٣٥ · وتزوج في عام ١٩٣٦ باتريشيا هيلين وانحل هذا الزواج في عام ١٩٥٢ وتزوج في نفس هذا العام اديث فينيش من نيويورك · وقد رزق رسل من زوجته الثانية اثنين ومن زوجته الثالثة طفلا هو الشريف كونوراد سيبستيان رسل ·

زكي المحاسني

نابغة من دمشق

* وحيد بهاء الدين *

حسب الادب السوري المعاصر ان يغدو الدكتور زكي المحاسني احد رواده النابهين الناهضين في جيلنا الحاضر القلق . ما انفك يواصل رحاله في دل مسار ومدار .. ما كف ارتياد شتى الافاق واستشراف التيارات والاتجاهات تطلبا لابعادها واصدائها ،التقاطا لانوارها وخطوطها ، وعيا لمفهوماتها ومضامينها .. بحثا عن جمالاتها وخصائصها ، تغريه بذلك كله نزعة مكينة تحتضن التالد والطارف ، وروح مجنحة تؤثر التحليق والانطلاق، وفكر مشبوب يستجلي الحياة ما فيها ومن فيها ، ويستقطب المجتمع ماله وما عليه .

من هنا ما في اعتزاز الادب العربي بسورية برجل تجلت فيه سمات النبوغ وذكاء القلب ونقاء المعدن كالمحاسني من دلالة ، حيث اوسع له واحله المحل الحرى به ، انسانا واستاذا .. باحثا وشاعرا .. مفكرا ومحققا .

كفاه انه من نوابغ دمشق ، ومن بناة مجدها الادبي السامق الواغل في المعرفة والاصالة ، على مدى طويل ناهزا لاربعين سنة . ان التاريخ يعرف كيف ينصفه، ويثمن رسالته التي اداها ، لقيادة قافلة الادب العربي رائدا طليعيا الى جانب عشرائه وزملائه ، يرتقي معهم سلم المجد ، ويدعم النهضة الجديدة ، وقد ازدهي به عمق الرؤيا وشوق الفن وامانة الغاية .

ومن أجل هذا كله نفح المحاسني الخزانة العربية بآثار بارزة هي الوان من الثقافة المعاصرة في مجالها وفحواها ، من فكر وشعر .. بحث ومقالة .. نقد وملحمة .. خاطرة وسانحة .

المحاسني في انتاجه يتفجر عن طاقات خلاقة ضخمة ، ترفدها الحياة بمآتيها ومعطياتها ،ويخصبها التمرس وتجربة الذات ، ويطلقها الزمن عبر سيره ودورانه .

حيث يحاول مخلصا تصوير الماضي المندثر واحياءه بتجسيد مضمونه الانساني فيصله بالحاضر المائج بالثورة الفكرية .. بالتحول الاجتماعي .. بالتكالب المادي لبلوغ المطامح الجائلة في اغوار الوجدان العربي ايمانا منه بضرورة نفض غبار التخلف عنها ، واسقاط السلبيات ، وبمعانقة التجدد والتطور ثم ارهاصا بارضية ثابتة لغد اعم جودا وثراء واعظم بهجة وجدوى .. غد يحبو الينا بحكم ناموس الوجود . حتى لترى المحاسني في خلال مؤلفاته يؤكد من جهة على اصالة العرب الحضارية ورفضهم التبعية والهزيمة الفكرية ، ومعبرا من جهة أخرى عن الشخصية الشرقية الاسلامية ذات المقومات الخاصة والمتميزة برصيدها الروحي والعقلي ،وايثارها لهما ، لانهما طالما رفدا حضارة العرب وتمازجا معها قصد التأثير فيها والتأثر بها .

واحسب المحاسني مصيبا في قوله (واذا كان شعر الحرب في الادب العربي هو اقوى ما نظم الشعراء على ترادف الاحقاب لانه يتصل بالامة فيضم مجد ماضيها الى عزة حاضرها ، وهو وحده سجل فخرها وعنوان بأسها واناشيد بطولتها) .

يعتمد المحاسني هذا كله لاتخاذه اياه وسيلة استغلال وآلة دفع يحض بها قومه تبصره بهم وتذكره لهم بان

لا مندوحة عن الاغذاذ في السير في هذا الدرب الطويـل الشاق لتجديد الثقة بانفسهم وتوطيدها على تتالي الايام، واعتماد العلم والعمل اساسا في التنظيم والابداع والتماس بواعث المجاراة للامم البالغة سموها الحضاري حفاظا على كنوزهم وذخائرهم وتحقيقا لما يخالجهم من الطموحات والامنيات ، وهي مقياس التشوف والاصالـة · هذا أن المحاسني ديدنه اولا واخرا وحدة الهدف بعد وحـدة الفكر ، فقد قـال (ان فكرة الادب للادب تتدخل في أعمالي الادبية وان عديد الكتب التي الفتها حتى الآن لا تقوم الا على الاخلاقوبناء الجيلالعربي بالمثل العليا)·

مجال القول في المحاسني موسوعيا مثقفا يعانـي تجربة الفن الشعري ويخوض مهامـه الابحاث الجـادة ويزاول مختلف ضروب التفكير والتعبير ذو سعة ، يقتضي مني ومن غيري تفرغا وانكبابا لا املك من اسبابهمـا ما يعنيني على ذلك ·· اذ تتعذر علي الاحاطة الكاملة بأعمال المحاسني الادبية ، واشباعها دراسة وتحليـلا ، خشية ان يفقد النهج العلمي الذي لا أحيد عنه عناصره ، اضافة الى كونها مجانفة لمهمة التركيز التي اتوخاها في كتاباتـي ·

الا أن هذا لا يحول دون الزعم بانني أوليت الجانب الملفت للانتباه في أعمال المحـاسني الاهتمـام الخاص الحقيق به ·

فالتركيب الفني لشخصية المحاسني الادبية يمكن ان تتحدد في ثلاث نقاط ، تلك هي : رسائله الجامعية ، دراساته للشخصيات الادبية ، مباحثه الفكرية العامة ·

من الفضائل العلمية التي يتحلى بها المحاسني في رسائله الجامعية الزامه نفسه بقواعد صارمة من المنهجية في التأليف والتجرد في البحث والامانة في القصد والاشارة الى المصادر ·

على ان اعتماده الاسلوب الموضوعي وركوبه المركب الخشن في رسائله ، وان كان عملا صعبا يتطلب المثابرة والجلد ، فانه لا يتهاون فيه ولا يتعاجز عنه ولا يستهين به · قال فيه شاعر الاهرام محمد عبـد الغني حسن (وحين يسلك الدكتور زكي المحاسني المسالك الوعرة في التأليف يذهب مذهب الاعتدال والنزاهة في الاحكام فلا يزور او يبسر الاحكام أو يتابع في الآراء من غير تحقيق ، ولكنه يقرأ ويحقق ويوازن ويحكم بعد اقتناع واعتقاد) ·

ومن خلال رسائله ذات الطابع الاكاديمي البحت يتجلى لنا مذهبه كباحث ومحقق علمي ومحقق أصيل ، ويتضح حيـاده الفكري في معرض الآراء والاحكـام المتعددة ·· المضطربة ، كذلك تبرز قدرته الفنيـة في التمهيد والتبويب والتخريج ·

اينما يغربل الحقائق التي يلتقطها ويدقق الوقائع التي يتلمس خطوطها بامانة وادامة ثم يربط المقدمات بالنتائج بخيط دقيق لا يكاد يستبين ، مؤلفا بين اطراف المادة المبعثرة ، ومتدرجا من التفصيل التي التركيز ومن التركيب الى التحليل ·

ولئن كان من المسلمات ان عبد الوهاب عزام علامة جليل في نهضتنا الفكرية الحديثة ، وهب حياته في سبيل البحث عن العلم في انصع مظهره وانبل غايته ، وقصد الاصالة والامانة في ما الف وانتج ، ادركنا على الحال الى اي مدى تتبع خطاه تلميذه المحاسني على البعد والقرب مقتفيا اثره مغترفا من ينبوعه ثم معترفا باياديه عليه · او ليس هو القائل (وتتبعنا عزاما رائد الادب والبيان في مقالاته التي كان ينشرها في (الرسالة) و (الثقافة) كل اسبوع ، وكأنه على البعاد من اساتذتي الذين علموني في دمشق وكان لهم فضل التوجيه في حياتي الادبية) · ثم اليس هو القائل ايضا · (وحين التقيت بالدكتور عزام كنت كحـافر الارض زمنا حتى بلغ الى مواقـع الكنز فيها ···) ·

ومن هنا جاءت رسالته (شعر الحرب في ادب العرب) ـ وقد نال بها درجة الدكتوراه ـ منطويـة على عناصر الريادة والاصالة والجدة ، لان المحدثين لم يطرقوا هذا

الموضوع ـ على حد قوله ـ من قبل · وفي التقدمة القيمة التي كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام لهذه الاطروحة ، قال (وقد عكف فيها ـ أي المحاسني عكوف الباحث المخلص المتثبت ، الذي لا يقنع بما دون الغاية ولا يسكن الى الدعة ولا ينوء به النصب والدأب ··) ·

أما المحاسني نفسه ، فيقول · (وقد اتخذت لبحثي النهج العلمي في التبويب والتفصيل والترقيم معتمدا على التحليل والتركيب حينا ، والمقارنة حينا آخر لاستكشاف الظواهر الادبية الحماسية وربطها ـ اذا دعى الامر ـ باسباب التاريخ ·

ومن هنا قال العقاد « وقد اعتمد المؤلف على ذوق الاديب وتمحيص العالم في ما أختاره من القصائد والمقطوعات ، وفي المقابلة بينها ووجوه المشابهة والمخالفة منها على حسب المشابهة في احوال العصور وملكات الشعراء واساليب الشعر من جانبه الفني ومن جانبه المتصل بالاخلاق والحوادث ، فجاء الكتاب زبدة منتقاة وذخيرة ممتعة تجمع للقارىء ما تفرق بين مئات المراجع وتزيد عليه ما ليس يوجد في تلك المراجع من تعليقات النقاد ومواضع الاستدراك التي يهتدى اليها الباحث والمؤرخ ويودعها خلاصة تفكيره وملاحظته في هذا الموضوع ··) ·

والمحاسني مجدد على مستوى الادب الصحيح ··

ان في قيامه بدراسة بعض الشخصيات الشهيرة في تاريخ الادب كابي العلاء وابي الطيب المتنبي وابي نواس من القدامى ، وكأحمد أمين وعبد الوهاب عزام وابراهيم طوقان ومن اليهم من المحدثين ، معنى من معاني الوفاء الانساني ودلالة من دلالات الثقافة العربية في آفاقها واعماقها ·· عظمتها ومثاليتها ، لا لشيء الا لان تلك الشخصيات افنت ذواتها وجندت قواها العقلية والشعورية من أجل تعميق القيم الحياتية والمبادىء الاجتماعية والحضارية ، التي آمنت بها الذات العربية واستمدت منها روح يقظتها ومفتاح شخصيتها ومهماز بقائها على العصور والاجيال ·· كذلك سخرت امكاناتها وملكاتها في سبيل تطوير الاساليب الادبية ، والمقاييس الفنية لتعمق تأثيرا وتوغلا في مجرى الاذهان ومسارب الاحاسيس ولتبقى قاعدة عريضة يلتقي على صعيدها القديم والجديد ·· الماضي والحاضر ·

وكيف لا يعير المحاسني أهمية لشاعر كالمتنبي وهو كما يقال ، رب المعاني ، وهو ايضا اعظم شاعر في سمو الفكر وقوة الشعور ، انجبته الامة العربية في جميع عصورها الادبية المتطاولة ·· ؟

دع كل صوت غير صوتي فانني
انـا الطائر المحكي والاخر الصدى

وأبو العلاء الذي تناوله المحاسني في اطروحته التي نال بها درجة الماجستير ، فحسبه انه الرائد الذي ادخل الفلسفة في الشعر العربي باقرار من تاريخ الادب ، والذي نقد المجتمع في أفكاره واشعاره ذلك النقد الرائع العميق اجهاضا لترهاته وسقطاته وايجادا لمناخ الحق والعدل ثم انهاضا بافراده المنتمين الى الجماعة الانسانية لذلك يقول المحاسني · (كذلك احببت أبا العلاء ـ على ريق الشباب فاخذت بكتبه مدارسة وممارسة ، وخطوت الشباب فاذا انا بضفاف النيل اكتب عن شاعري ، ولئن سبقني الكتاب على كثرتهم في التصنيف عنه لداعية الف عام مرت على مولده أو لسوانح تسنح لهم في ادب هذا العبقري الشامي الذي خلد على الزمان ، فما واحد منهم وقف كتابا على نقده للمجتمع · وهل كان أبو العلاء الا ناقد المجتمع في كل شعره وعميم نشره) ··

ومن الذي يتجاهل أبا نواس ، داعية الثورة على الاطلال الدارسة وداعية الحياة في تطلعاتها ولذائذها والذي يقول :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
لتلك ابكي ولا أبكي لمنزلة
كانت تحل بها هند واسماء

وفيه يقول المحاسني (لقد كان هذا الكتاب من بواكير اعمالي الادبية منذ ثلاثين عاما ، يوم لم يكن أحد من المعاصرين قد تقدم بدراسة جامعية ومنهجية لشعر أبي نواس وادبه) ٠

والمحاسني كأديب ملتزم داخليا متصفبدقة الحس ويقظة الوجدان ، لا بد ان يتجاوب مع الاحوال المحفوفة بذاته ٠٠ بمجتمعه بامته ، ويتأثر بمن يشاطره مشاعر الوفاء والاخاء ويسقيه كؤوس العلم والمعرفة ٠

ومن هنا كان كتابه (طوقان : شاعر فلسطين) وليد تفاعله من الاحـــداث المفجعة التي رافقت قضية العرب الاولى ، فقد قال : (واذا كان شعر طوقان قد ارتبط بقضية بلاده قبل النكبة وبعدها وعبر فيه عما لابسها قبل احتدامها ،فقد رأيته جديرا بالدراسة والتمحيص)٠

بينما كتاباه (أحمد أمين) و (عبد الوهاب عزام)، عصارة زمالة فكرية وتلمذة او صداقة روحية استغرقتا شطرا من عمره ، واستوعبتا بالنسبة اليه وجوده الذاتي والفكري ٠٠ وقد صور هاتـــين الشخصيتين الرائدتين بلمساتهما تصويرا واقعيا وعبر عن مبلغ تعلقه بهمـــا تعبيرا أمينا ـ ٠ مثلا ، يذكر عن أحمد أمين (أما أحمد أمين فقد رأيت صورته في كتابه (حياتي) كما رأيته في العيان والممارسة ، ولم اجد الشخص الذي في الوجود مخالفا للشخص الذي صور نفسه على الورق ، بل لمست فيه تواضع العلماء والبعد عن التبجح والغرور) ٠

دراسات المحاسني للشخصيات تتراوح بين الطريقة الكلاسيكية البحتة وبين الطريقة التحليلية المعاصرة ٠٠ اذا كان كتاباه (المتنبي) و (طوقان : شاعر فلسطين) يخضعان لاسس الطريقة الكلاسيكية فان كتابيـــه « احمد أمين » و « عبد الوهاب عزام » يختلفان عنهما من حيث التحليل والتفصيل ٠٠ الاستقراء والاستنتاج ، ثم يحويان شيئا غير ضئيـــل من عناصر الخلق والصدق ٠ ولعـــل لعلاقة المحاسني الوطيدة بالرجلين دخـــلا كبيرا في ذلك كله ٠٠ لننظر ماذا يقول المحاسني بهذا الصدد (وهكذا كنت اقرأ «أحمد أمين) فاتخيله في شكله وسمته واستخرج صورا حية من عاداته وصفاته من طول التنقيب في كتبه ومقالاته قبل ان اعرفه من قريب ، وتجمعني اليه مودة فكرية وتبعات حكومية ٠

اما كتاباه الاخران « أبو نواس » و « أبو العلاء ناقد المجتمع » فتتمثل فيهما الطريقة المعاصرة بالرغم من كون الاول صادرا في اواخر الثلاثينات ، ولكنه دليل ساطع على ملكة المؤلفالفذةفيالبحث والمقارنة والدراسة، وبالرغم من كون الثاني صادرا في منتصف الاربعينات ، لقد اصاب الدكتور فوزي عطوة كبد الحقيقة حين عرج على المحاسني ذاكرا : (وقد انعكس في الكتاب ـ يريد كتاب أبي نواس ـ اثر الثقافة العالية التي يتمتع بهـــا الدكتور زكي المحاسني ، وذلك من خـــلال الدراسات المقارنة التي اجراها ولو بصورة عاجلة) ٠

وللمباحثات الفكرية قدر كاف في آثار المحاسني ٠٠

استهل بها اهتماماته الادبية الاولى بحصافة العالم وحساسية الاديب وذوق الفنان ، تحديدا لملامح الادب المعاصر وتطوراته واصدائه وتسمية لقادته من شعراء وادباء ممن شيدوا صرحه الشامخ ، القائم ابد الدهر ٠

ففي كتاب (نظرات في ادبنـــا المعاصر يرصـد المحاسني لنهضة الادب الحديث ٠ ماواكبها ، ما اشتجر حولها ٠٠ ما تجدد فيها ، ذلك مـــن خـــلال الظروف الموضوعية للاقطار العربية التيبلورت هذا الادبواكسبته مقوماته الخاصة واسفرت عن القيم الجديدة المتأثرة بالمثل الحضارية ، ومدى قدرة هذا الادب علىالتفاعلمعالاحداث واستيعاب قضايا اللسان العربيفيجميع البلدان والاعراب عنها بطلاقة واخلاص ٠

على ان الشيء الحري بالانتباه ان المحاسني ، وان كان مؤمنا في قرارة نفسه بالادب العربي بسبب خصائصه الذاتية والانسانية ، فانه يرى انه غير جدير بالارتقاء الى

المستوى العالمي او القياس به لافتقاره الى مياسم العالمية في الاصالة والعمق والحدة والتأثير . انه يقول (ان الحقيقة التي هي بغية كل باحث تقول : ليس مالدينا من آثار ادبائنا شيوخا ومحدثين الا القليـــل الضئيل مما نستطيع ان نقدمه الى جنب الادب العالمي) .

ليس هذا بمانعه من الاعتراف بانه كان لنا ادب عالمي ، ولكن اين هو الآن ؟ . ولم لم نصله بالحاضر الراهن . ؟ لقد تخلفنا وتخاذلنا وغيرنا ما بانفسنا ، مستمرئين نشوة الخمول والخدر ، حتى غـدونا بحيث نحن اليوم .

(لقد كــان لنا ادب عــالمي في العصر العباسي والاندلسي ، وكان لدينا افذاذ فيه عالميون ، وحين نذكر الجاحظ وأبا الطيب المتنبي وأبا العلاء المعري نعتــز بهم في كل عصر .) .

مع هذا كله فالمحاسني لا يكفر بالضمير العربي ولا يفقد امله ، معتقدا أن بالامكاناللحاق بالركب العالمي في ميدان الادب والفكر اذا عرفنا كيف نقتحم آفاقه . ونطبع ذواتنا بطوابـــع العصر وتحولاتـــه . الحضارة ومبدعاتها ، الواقع ومتطلباته ، ثـــم اذا عرفنا كيف نصور تجاربنا وما تعانيه نفوسنا ،وعبرنا عن اصالتنا الانسانية وتراثنا الحضاري بالارتفاع الى ذروة الفن الحقيقي والفكر الواقعي ليتميز أدبنا العربي المعاصر بالعالمية في المعنى والمبنى .

والمحاسني راهب متبتل ، يصوغ الحياة الادبية بكل مناحيها واهوائها علىاساسمن الدين ، متمثل في القرآن والحديث ، انه يدعو الناس الى الالتزام بالقيم الاسلامية التي اخرجت البشرية التائهة من ظـــلام الجهل الى نور الهدى والرشاد .

اذ يرى المحاسني ان الادب لا يمكن ان يحيا الا في ظلال الدين ، وان آداب الامم الاخرى مصدرها العبادة ، فيقول . (لا يعيش الادب منفوح البيان بالسحر الحلال وفصل الخطاب الا في حمى الدين ، ولقد عرفت الامم القدامى في حياة الشعر والفن تراتيل العبادة في طقوس الديـــن ..) .

صحيح ذلك ما دام الادب هو النتيجة الطبيعية لدراسة الدين وكشف خصائصه وحقائقه بعد النفوذ الى اغواره وجذوره وترك ما لا صلة له . يتجلى ذلك كله في كتابه (الادب الديني) ، الذي ينتظم دراسات ادبيـة في منتهى الروعة والتوافق الفكري ، لا لشيء ، الا لأنه اعتمد القرآن ـ كما نوهت ـ والحديث اساسا في طريقة تناوله الموضوعات الكونية والوجودية ، والقضايا الفردية والبشرية في الجاهلية والمعاصرة علاوة علـــى المذاهب الاخلاقية والادبية في ضوء التطورات الحديثة ، الى جانب قصص بعض الشخصيات الاسلامية التي غيرت وجــه التاريخ وارهصت بظهورها بمفهومات لا قبـل للمجتمع العربي بها . ومن مطاوى الكتب . التجسيم النفسي في القرآن ، الوجودية المذهبية في القلق من آثار القرآن في الآداب العالمية ، شعر الاسلام في الجهاد،الفلسفة الاسلامية عند ابن تيمية ، الرسول يضع الوحدة العربيـــة . وفي هذا الاخير ، يقول (ولا شيء يؤلف بين القلوب كالسلاح بين المجاهدين ، فان اجناد الرسول وقواده كانوا كتلة واحدة كأنهم البنيان المرصوص ، فخرجت القبائل من معركة بـــدر تجرر اذيال النصر وتخفق فوق رؤوسها رايات العزة بظفر الرسول وصحبه ، وقد تركت هذه المعركة في ادب العرب القديم شعرا كثيرا قيل في الفخر والرثاء ، ما زال الى اليوم يهيج كامن العظمة في العروبة على الزمان .

ثمة شيء ...

وفي آخر المطاف ينبغي ان نقف على ما هو واقع نشدانا للحقيقة العلمية التي عمل المحاسني من اجلها ولأجلهـــا .

ان المحاسني ، وان تمسك بنظرية « تين » في

البحث والنقد ، وهي تعنى بدراسة الكاتب او الشاعر وظروفه الموضوعية ، وتحليل العوامل المؤثرة في تكوينه وثقافته ، فانه كمجدد يؤمن بمبدأ التطور والانفتاح على العالم ، لا يغلق ابواب المباحث العلمية التي يعالجها بل يفتحها على مصاريعها ، ليلجها من يشاء من بعده وبمن يشاء • ومن طبيعة الاشياء ان يظل باب العلم مفتوحا •• هذا هو الصحيح •

تكتنف اسلوب المحاسني بوجه عام استطرادات ، ولعله بهذه الظاهرة التي شملت حتى رسائله الخاصة ، متأثرا بالجاحظ • الرائد الذي اختص بهذه الشخصية الفنية الفريدة ، ثم هو – اعني المحاسني – في طريقة معالجته الموضوعات يستعير من القديم ثوبه ومن الحديث روحه ، عملا بقاعدة الجمع بين الاول لاصالته وفخامته وبين الثاني لطرافته وجدته •

وبسبب من ثقافة المحاسني وتنوع روافدها يتولى مهمة الموازنة بين الكتاب والشعراء الشرقيين العرب ، وبين الكتاب والشعراء الغربيين الذين رافقهم في رحلة الفكر ، وذلك من خلال تفسيره لبعض الظواهر الادبية المعينة ، تعزيزا لآرائه وأفكاره وافصاحا عن غزير علمه وتناهي افقه ، كما فعل حين وازن بين مالتوس وابي العلاء المعري ، وبين رامبو وابي نواس ، وبين فكتور هيجو وأحمد شوقي •• وهكذا •

والبعد الذاتي يترامى امامنا واضحا كلما توغلنا في دراسات المحاسني ، حيث يدخل طرفا في الموضوع ، فيبدأ يتحدث عن ذاته في مساق الكلام بصورة تلقائية ، حديثا مستطابا ، محاولا ان يربط بينه وبين اسباب الموضوع الذي تناوله بعامل فني •

تفسيري لهذا كله هو اندماجه في ما يعالج اندماج الصوفي المستغرق ، ليضفي على ذلك بعدا ذاتيا • والاديب الصادق يعبر عبر سطوره ومؤلفاته عن تجاربه ومعاناته بعفوية لحمتها الاصالة وسداها الاخلاص •

بغداد **وحيد بهاء الدين**

الرحـــالة مـوم ••

سومرست موم (١٨٧٤ – ١٩٦٥) الكاتب الانكليزي الشهير ، كان يعشق الاسفار ، فلم يترك بلدا في الشرق او الغرب لم يرحل اليه ، كان يعيش بين أهل هذه البلاد و يدرس عاداتهم وتقاليدهم • ومن خلال تجاربه في اسفاره، كتب أروع مؤلفاته ، وفي مقدمتها « حد الموسى » وهي قصة شاب كان يبحث عن المعرفة ، فلم يجدها الا عندما سافر الى الهند في الشرق •• وفي هذه البلاد الواسعة ، ومن فوق جبالها الشامخة وقف الشاب يبحث عن الحقيقة •• وهناك وجدها •• وجد المعرفة التي كان يسعى اليها •

و « حد الموسى » هو الذي اوحى للكاتب العظيم ، بان يوصي بمنح جائزة سنوية للكاتب الذي يضع أحسن كتاب اشترط أن ينفق الكاتب الذي يجب أن لاتزيد سنه عـلى ٣٠ عاما ، قيمة الجائزة كاملة عـلى الرحلات • فذلك خير ضمان يقدم للكاتب الفائز حتى يستطيع وضع كتابه الثاني ، وهو مؤمن بان هذه أفضل وسيلة لتوسيع مدارك الكاتب الناشيء وتجاربه وخبرته في الحياة •

أما هو ، فلم يكف عن رحلاته الا عندما وقف يحتفل بعيد ميلاده التسعين ، قائلا « لقد بدأت أشعر بالوهن •• يبدو ان اعراض الشيخوخة بدأت تزحف الى جسمي » ومات في الحادية والتسعين •

حكاية العمر

بقلم

عبد المطلب الأمين

يا غربة الصحو على الشاربين ... وغصة الشك بقلب اليقين

وخيبة الاعياء من ثورة ... راضت بها الاعصاب حمى الجنون

ومبعث الآمال من هجعة ... القى بها اليأس لبرد المنون

وعثرة الذكرى باشلائها ... تناثرت بين اصطفاف السنين

مشى اليك العمر يا فتنتي ... وفي خطاه عثرة الهائمين

يصارع الكأس فلا ينتشي ... ويصدم اليأس فلا يستكين

يهده الجهد فلا ينثني ... وكم أناخ الجهد رحل الظعين

مشى اليك العمر لا يهتدي ... أبالثواني عد أم بالقرون

طوى اليك الارض دامي الخطى ... يقرع الجفن ندي الجبين ..

ويعصف القيد بأقدامه ... فيصهر القيد وينجو السجين

بعثت بالنور الى ليله ... فشعشع الليل وضج السكون

وهبته سرك ايماضة ... أفاضها الله على العارفين

فصرف الكفار عن غيهم ... وأفسد النجوى على المؤمنين

سلافة الصوفي في كأسه ... عدت عليها سكرة الفاسقين

ودمعة المحروم في جفنه ... وفي رؤاه تخمة الناعمين

تناقضت صورة ايامه ... كأنها منك انعكاس أمين

* *

حكاية العمر على طولها ... وما زهاها من طلاء الفنون

قصصت للغيب أحاديثها ... كقصة الصحو على الشاربين

نفضت عن جفنيك أطيافها ... وبعتها ، بيع الشذى للأنين

تضاءل العمر على رحبه .. ... وجف من معناه فيض المعين

ولو رسمت اليوم ألواحه ... لضاع في الالوان ما ترسمين

وهبت للذكرى وبيدائها ... عطية الهادي وجود الضنين

أعيذ هذا العمر يا فتنتي ... يرحمه الموت ، ولا ترحمين

عبد المطلب الامين

الصراع الحضاري

• في رواية نرسيس

• ممدوح قوموق

١ ـ نرسيس الاسطورة :

نرسيس الاسطورة ـ قصة شاب في غاية الروعة والجمال ، حاد الذكاء ، واسع المعرفة • يقال انه لم يجد من بنات حواء واحدة جديرة بان يقدم بين يديها هوى قلبه ، وظل هكذا ينفر منهن جميعا حتى رأى وجهه ذات يوم ، على صفحة بركة ماء هادئة ، فوقع في هوى نفسه • وبقي ينظر الى وجهه باستمرار حتى أصابه الذبول ، وشيئا فشيئا تحول الى نرجسة منتصبة في الماء • تحني عنقها وتنظر الى وجهها باستمرار •

٢ ـ نرسيس الشخصية :

هذه نرسيس الاسطورة ، أما نرسيس الشخصية في الرواية • فلا تشترك مع الاولى الا في المصير المفجع الذي تنتهي اليه • وما عدا ذلك • فقد أعاد انور قصيباتي خلقها ، ليجعل منها الشخصية القطرية التي تدور حولها الاحداث ، والتي تخلق حولها الصراع المطلوب ، وخلق حولها من عنده ـ وكما يفعل أي روائي آخر لا يعتمد في بناء روايته على اسطورة ما ـ الشخصيات التي تتفاعل مع الشخصية القطرية • لايصال هذا الصراع الى الحد الذي يريده الكاتب •

والذي يؤسف له • أن بعض المثقفين ، يقولون : « ان هذاه الرواية عمل فني كامل ، ولكن يا حبذا لو أن قدرة الكاتب في الخلق الفني ، استعملها للتعبير عن مواضيع من صميم حياتنا الخاصة » ناسين او متناسين المجال الرحب في الميثولوجيا للتعبير عن البيئة والافكار التي يريدها الكاتب •

ويبدو ان اعمال الروائيين العالميين أمثال سارتر واونيل وغيرهما ـ والتي كتبت في قالب ميثولوجي ـ في نظر هؤلاء قد كتبت لمجرد المتعة الفنية الخالصة •

نعود الى الرواية •• ان أفضل طريقة يمكننا بها أن نفهم هذه الرواية • هي دراسة حياة نرسيس الادبية من خلال احتكاكه ببقية الشخصيات التي تمثل كل واحدة منها شكلا من أشكال الصراع الحضاري •

٣ ـ نرسيس وكينوش :

يعود نرسيس من دلفي مع الوفد الاثيني ، الذي ذهب ليمثل أثينا في أعياد الاله أبولو ، وقد وقع في هوى الامير الاسبرطي الجميل كينوش ابن ملك اسبرطة أموكلاس • ويبدو شاردا طوال الوقت • وعندما يلتقي بصديقه الشاعر لينوس • يشرح له هذا الهوى : « هذه التجربة التي تعانيها بكل قواك الشعورية ، ليست الا نتيجة حتمية لتطورك • فأنت الآن تولد من جديد ، تخرج الى العالم مرة أخرى ، وفي هذا الخروج تشعر بعمق ذاتك ، وباتساع نفسك ، وبامتلاء شخصيتك •• فتحس بانك تتطاول وتتطاول لتصير الها • لكن هذه الاندفاعات كلها تنحرف عن أهدافها ، تتجسد في شخص آخر ، يماثلك في الشكل ، ويقترب من سنك ، وعندما تجده ، تحسب بانك تحبه ، في حين انك لا تحب فيه سوى نفسك » • ويأبى نرسيس في البداية أي شرح او تعليل لهواه الجارف هذا • لكنه عندما يزور اسبرطة مع وفد اثيني للمفاوضة ، ويقابل الامير كينوش • يخيب أمله تماما اذ لا يجد أي تناسب بين جمال وجوهره • فهو ليس الا مثالا نموذجيا ، لطاغية جميل ، يتحرق شوقا الى أن يغرق بلاد اليونان في حمام من الدم ، من أجل تحقيق اطماع سياسية •

والملاحظ ان هذه العلاقة تبقى مجرد اعجاب من بعيد ، ولا يتبادل الاثنان أية كلمة من الرواية كلها . فاذا كان جمال نرسيس رمزا للحضارة الجديدة القادمة كما سنرى . وكان كينوش الممثل النموذجي لابهة الامجاد السياسية والعسكرية ، نستطيع ان ندرك بسهولة ما يرمز اليه فشل هذه العلاقة .

(٤) نرسيس ولينوس

يرى نرسيس في لينوس ، الرجل الناضج الذي خبر شؤون الحياة ، والشاعر الخطيب الذي يجيد التلاعب بعواطف اهل اثينا . فهو لذلك يلجأ اليه في محنته ، علّه يجد لديه حلا لمشكلته . أما لينوس فهو واقع في المجال المغنطيسي لجمال نرسيس . وعندما يكتشف سر كآبة نرسيس ، يخشى ان ينصرف عنه ، ويحول مودته له الى حب غيره . لذلك يبذل كل طاقات بيانه ، ليصرفه عن ذاك الهوى الذي عاد به من دلفي . لكنه يفشل اذ يقرر نرسيس « أحلامي لن تضمحل ابدا » وتنتهي هذه المقابلة ، بعد ان تنفتح ثغرة صغيرة جدا ، وسرية في العلاقة بين الاثنين . ويذهب لينوس لمقابلة صديقه هوراس . وهوراس هذا شخصية ثانوية . انه الذراع الايمن لجيرون . وجيرون هو المفكر الذي جاء الى أثينا ، لينشر أفكارا سياسية في اطار فكري فلسفي . ويذهب نرسيس وفيدون ذات يوم الى مجلس جيرون الذي يعقد الاجتماعات في داره ، كان يقول « ومن هنا تتساوى الكائنات الانسانية والارواح البشرية ، فليس الحكام وحدهم ، ولا النبلاء الذين يعودون مرة اخرى الى الحياة . انما انت ، وهو ، وانا ، البناء والفقير ، والفلاح والمعدم والجاهل والمجنون » ويتابع « ومن هذا التساوي في صورته العليا ، ينبع التساوي في صورته الدنيا » بهذه الخلفية الفكرية يمهد لتحريض الغوغاء على قلب نظام الحكم في اثينا لصالح اسبرطة . وتنشب مناقشة حادة حول موضوع العودة هذه ، يشترك فيها فيدون ، ثم يتحول النقاش الى نرسيس ولينوس .

لينوس : « قلت اننا جميعا متساون كما قال جيرون ، وان العودة المستمرة ، تتناول الحذاء والفيلسوف والبناء والحاكم والعبد والقائد .

ــ كلا يا لينوس . هنا اختلف معك . اننا سنعود ، لكن ليس بصفتنا جنسا انسانيا ، انما بصفتنا كأفراد .

ــ لكن كيف ذلك ؟. هلا أوضحت . اني لم افهم ما تريد تأكيده .

ــ أعني بان عودتنا ستكون نسبية . ربما فقط عشرة او اكثر بقليل ، هم الذين يعودون من اصل سكان مدينة واحدة ، وينتمون الى جيل واحد . » .

وهنا يتصدى له جيرون بعد ان يشم رائحة الخطر من افكار نرسيس .

ــ « لكن لماذا يا بني يجب ان يعود افراد قلائل فقط .

ــ لان معظم الذين اوجدتهم الآلهة ، زوائد على الحياة ، فهم لا يستحقون ان يعيشوا فترة واحدة ، فكيف لهم ان يعيشوا فترات متعاقبة على مدى الدهر . » .

ان زيف جيرون لا يملك قدرة الوقوف على قدميه امام الاصالة المتأججة من نفس نرسيس « وبالفعل كاد على وشك ان يدعم تفسيره ، ويزيد عليه . لو لم يقطب فجأة لتذكره الغاية التي جاء من اجلها ، والنتائج التي يريد ان يقتطفها من زرع أفكاره ، هذه الافكار التي كان لها نتائجها العكسية عند نرسيس ، فقال محاولا احراجه .

ــ هل تستطيع ان تخبرني عن ميزات هؤلاء الذين نالوا امتياز العودة لوحدهم !.

ــ انهم اصحاب النزوع المتطرف الى الاعلى . هؤلاء الذين يعيشون باضطراب وفوضى وضياع طيلة الفترة الزمنية التي حددت لهم . والذين يموتون سريعا ، لانهم يعيشون اليوم بسنة ، والسنة بعشرات السنين ، انهم يضغطون عمرا كاملا عاديا بعدة ايام غير عادية ، يكثفون

المشاعر التي وهبت لهم لتكفيهم سنوات طويلة ، بأيـــام معدودة • فيعيشون هذه الايـــام بعنف وقوة وسمو بالغ ، ثم يرحلون عنها ، بعد ان يكونوا قـد ذاقــوا خلاصتها ، وعاشوا قمتها ، واستهلكوا زبدتها • ان هؤلاء فقط هــم الذين يعودون ، ولاجلهم الحياة اصلا ، ولولاهم لفرغ الكون من حس الحياة وانطفأت شعلة الروح » •

هؤلاء هم الدعامـــة الاساسية لكل حضارة جديدة ، لانهم يرتفعون ويسمون على كل ما هـــو عادي وترابي • ليتفرغوا لمهمتهم الاساسية التي اوجدتهم الآلة من اجلها ، وهي ملأ الحياة ، واعطاء القيمة « للانسانية التي تتوالـد وتتكاثر تكاثرا اعمى » • الجميع يتساوون في الموت • لكن هذه النخبة تذهب الى منبعالوجود لتتزود بطاقات اخرى • وبينما يفني بقية الناس • تعود النخبة بطاقاتها الجديدة لتهب المعنى والروح لانسانية جديدة غير التي عاصرتها •• نرى هنا ظلالا كثيفة لنظرية تكرر الحدوث الخالد عنـــد نيتشة • وليس هذا ما يعيب الرواية في شيء • وما يهمنا ايضاحه هنا • ان الكاتب في هذه النظرية • يريد ان يؤكد لا شرعية الديمقراطية الغوغائية في الحكم •

ويخرج نرسيس وفيدون من القاعة غاضبين • بعد ان تخرج المناقشة عن حدود اللياقة والادب •

ويتبعهما معظم الحاضرين • بينما يبقى لينوس ، ليقع في شرك جيرون وهوراس اللذين يغريانـه بأن يصبح داعية لحركتهما بين جماهير اثينا التي يحسن التلاعـــب بعواطفها • فيقبـل بعـــد تردد ، على شرط ان لا يمس والد نرسيس الذي هو نائب الحاكم بأذى • لكن حركـــة جيرون يقضى عليها ويكتشف امر لينوس ويزج به في السجن وبذلك تكون خاتمته • ان لينوس يمثل اديبا من الجيـــل الماضي ، غير قادر على تمثل الحضارة الجديدة •

(٥) نرسيس وأريون •

أريون هو مربي نرسيس واستاذه • وتبقى العلاقة بينهما علاقة تلميذ باستاذه الى أن يرفع الستار عـــن التمثال الذي نحته هسيود لوالد نرسيس •فيلاحظ الجميع ان وجه التمثال هو وجه نرسيس،وبينما يذهب الحاضرون مذاهب شتى من تاويل هذا التشابـــه • يصاب أريـون بصدمة عندما يفهم السر • ويخرج ليسافر بعد ان يترك رسالة لنرسيس ، يوصى ان تسلم اليه ان لم يعد بعـد اسبوعين • وفي هذه الرسالة يشرح كل شيء بوضوح • لقد فهم سر هذا التشابه بين وجه التمثال ووجه نرسيس ان هسيود الفنان • لشدة تأثره بجمال نرسيس • أبى أزميله الا أن ينحت الوجه ذاته • بينما أريون يعترف : « أجل يا نرسيس • لم استطع ان أحبك • طاقتي لم تملك القدرة ، لتمدني بالقوى التي تستطيع ان ترفع مشاعري الى مستوى جمالك • جندت كل مواهبي وكل امكانياتي • لالقي من وهج نفسي شعاعا على الشر الذي تحويـــه ، لاكشف حقيقة تكوينك المعجز •• لكني ارتددت خائبـا حسيرا • وكيف يمكنني أن أكشف جمالك بنور نفسي • لطالما عجزت عن حبك • » وهو من أجل ذلك،ذهب والقى بنفسه في بطن بركان البرناس • ولكنه ترك اعترافات خطيرة « ان حضارتنا الحالية ، حضارة ممسوخة شوهاء ، انها قزم يدور على كعبه • وهي ستموت عن قريـب ، لانها ولدت بالية • وكنت أجزع على مصيرهـــــا ، رغم علاتها • أما الان فتعزيتي عظيمـــة في مماتها •• لان حضارة جديدة في الطريق الى الظهور • بل هي قد ظهرت بالفعل من أول الطريق •• وهـــذا التمثال الذي نحتـه هسيود •• فأبى الا أن يحمل صورتك ، ليس الا تجسيدا لاولى ارهاصات هذه الحضارة المقبلة » •• « وأنت اول انسان غير عادي سيحمله الخلود الى ما لا نهاية ، ولعـل القوى المجهولة تستطيع على تعاقب الدهور ، صناعـــة أمثالك ، ليكونوا الخط الحضاري الذاهب الى الابعد » •

لو استطاع أريون أن يتجاوب مع جمـــال نرسيس بفكره ، لكن الجانب الذي يمثله أريون من حضـــارة آفلة ، لا يمكن أن يلتقي بالحضارة الجديدة التي يمثلها

نرسيس . لذلك لم يجد في النهاية بدأ من ان يتنحى ، ويفسح الطريق لهسيود ، المثال الفنان الذي استطاع ان يمتليء بحب جمال نرسيس ، وأن يتجاوب معه . لكن .. هل استطاع هسيود أن يحل المشكلة .. ؟ .

(٦) نرسيس وهسيود .

بعد أن يرفع الستار عن تمثال والد نرسيس ، يعود هسيود الى عزلته . وتفاجيء العاصفة ذات يوم نرسيس ، وهو يتنزه في الخلاء . فيلجأ الى بيت في طرف المدينة هربا من المطر ، وطلبا للقليل من الدفء . فاذا به صدفة في بيت هسيود . لقد هيأت الآلهة هذا اللقاء الخلوي في هذا اليوم العاصف . ليتحدثا عن مكنوني نفسيهما لبعضهما . ويكتشف نرسيس تمثالا نحته له هسيود في غيابه . ومن هنا يبدأ التقارب بينهما . اذ يشرح هسيود معنى العبقرية بطلب من نرسيس ، ويقرر أخيرا أن عبقرية الحب والجمال ، تقفان من فوق كل العبقريات كالعرف في رأس الديك . وهنا يسأل نرسيس :

ـ « وهل تعتقد أنه وجد حب عظيم ، دون ان يستطيع ملاقاة جمال في مستواه .

ـ هذا لا يمكن أبدا ، لان الاقدار قد تخطيء في كل شيء ، الا في هذا الموضوع .

ـ ولو حدث وأخطأت . ؟ .

ـ ان ذلك سيكون عنوان مأساة الكون . » .

هنا عقدة مأساة نرسيس . لقد عاش « منطويا على نفسه وحيدا » في قلب الهموم والاحزان الى أن التقى بهسيود ـ الحب العظيم ـ الذي عاش جماله العظيم ، بكل ما لدى الفنان من عنف وتوتر وكبريا ء ان التمثال الذي صنعته لك يا نرسيس يجد الومضات الاخيرة لحضارتنا الحالية . وأنا أمثل الشعاع الاخير لحضارة القلب هذه » ان هسيود يحب بقلبه . بأعصابه ، وهو يعترف كما اعترف اريون من قبله ، بأنه فشل . فما لديه من قدرات الاستقبال الحسي كفنان ، اضعف بكثير من أن تستوعب جمال نرسيس المشع ، لذلك يشعر بالحاجة الملحة الى أن يبقى بجانبه ولا يفارقه ، حتى ولو دقيقة زمنية . ولكن أنى له ذلك . ويشعر بأن كل دقيقة تمضي دون أن يرى نرسيس ، تتلف من جسمه خلايا عضوية حية ، ولا تعوض منها ، ولا تحييها رواية نرسيس ثانية . انه يذوب يحترق . وعندما يعود نرسيس من اسبرطة بعد غياب طويل . يجده مريضا على فراش الموت ، فيجزع عليه

ـ « لو ذهبت يا هسيود ، فسأبقى وحيدا طيلة عمري .

ـ أبدا .. يا نرسيس .. لن تبقى لوحدك لكنك في النهاية ، ستجد اكتمالك .. ستجد الحب الذي يناسب جمالك .. الحب الذي يتفوق على الحب الذي وهبتك اياه » . ويتنبأ هسيود « ان قوى الكينونة كلها من عاطفة وروح ، وارادة حياة ، ورغبة تفوق وسعادة كلها سوف تتصاعد الى العقل » عندها يستطيع هذا العقل ، ان يتمثل جمال نرسيس العظيم في حب من مستواه . ولكن قبل ان يأتي هذا اليوم ، مات هسيود ومرض نرسيس مرضا شديدا . وعندما شفي اخيرا استقال والده من منصبه ، وذهب به الى الريف وهناك بعيدا عن الناس كلهم . وفي وسط واحة وارفة الظلال ، يرى وجهه على صفحة بركة ما صافية . انه وحيد هو وصورته . وظمؤه لا يرتوي لقد فقد حبه العظيم ، وهو مضطر أن يرتد بصدمة مفاجئة ، ليقف كحب عظيم يظمأ لجمال أعظم . انه الحب والجمال معا الان . وكل ما وجده خارج نفسه لم يكن جديرا ولا قادرا على أن يصمد أمامه . لانه انما كان يمثل جانبا من حضارة منهارة . لقد امتنع عن الاكل والشرب . انه الآكل والمأكول معا . وبقي بجانب البركة يحدق في جماله العظيم . حتى تحول

الى نرجسة ٠

مضى نرسيس ٠ ليتزود من نبع الوجود ، ولكن حياته الارضية القصيرة ، مرت من خلال حضارة قديمة على وشك التهافت ، كتيار كهربائي قوي ، فهز كيانها من اساسه ٠ وهدم المؤسسات التي يمثلها اشخاص من الرواية ، الذين عرفنا مصيرهم ٠٠ شخص واحد بقى يصارع ليتم هدم الحضارة القديمة ، ويقيم الحضارة الجديدة ٠ هذا الشخص هو فيدون ، فماذا يمثل فيدون ٠

(٧) نرسيس وفيدون

« كل منا جاء الى الحياة ليعيش المدة التي تتناسب مع طاقته ، ولكن يحدث في بعض الاحيان ان يختل هذا التوازن الجامد ، عند بعض الاشخاص الذين يأبون أن يكونو كالاخرين ، وذلك عندما تنفق طاقاتهم بسرعة ، فيبددون ما أعطوه ليعيشوا به خمسين سنة ، ببضع سنوات ٠ عند ذلك لا يبقى عندهم ما يمد حياتهم ساعة واحدة ٠ » هذه بعض آراء فيدون ، ونرسيس يعجب بهذه الافكار ، ويراها توضيحا لآرائه الخاصة ، ومن هذه النظرية مع نظرية جيرون في عودة الناس الى الحياة مرة أخرى ٠ يبني نظريته الخاصة التي رأيناها ، في عودة النخبة الممتازة المتكررة ٠ وهكذا يقف فيدون بشخصيته الخاصة ، موقف الند للند من نرسيس ٠ فهو لا يمثل الطرف الآخذ فقط ، انما المعطي ايضا ٠ المعطي من نفسه لخلق حضارة جديدة ٠ فهو قائد حركة سياسية « عصبة الشباب الاثيني » التي ألفها هو وخمسة من رفاقه الشباب ، للسيطرة على الجيل الحاضر من أجل الوقوف في وجه المؤامرات التي تحاك حول أثينا من جهة ، ومن جهة أخرى ٠ فما دامت أوضاع أثينا في تدهور ٠ فلا بد من حركة شابة لانقاذ الاوضاع ، والسيطرة على الحكم ٠ للقضاء على الفساد ، والانحلال اللذين يهددان حضارة أثينا بالزوال نهائيا ٠ والصداقة العميقة التي تربط بين الاثنين ، هي نوع من الالتحام الحضاري « أريدك أن تمنحنا وجودك يا نرسيس ٠٠ ان ترسل اشعاعك ليضيء قلوبنا ٠٠ أن تسكن نفوسنا ٠ ان مزج معناك بالخليط الشعوري والفكري لكياننا الروحي ، هو الذي سيدفع بأسس هذه الحضارة للخروج » لكن نرسيس يرفض ان ينضم للحركة ، لانه لم يخلق ليسلك دروب الحياة العادية ٠ ان فيدون هو الوحيد الذي استطاع ان يتمثل جمال نرسيس في نفسه ، واستطاع أن يدرك معناه الحضاري ، وبقي مستمرا في حركته ، التي تعمل من أجل خلق الحضارة التي يرمز اليها جماله ٠ ٠ حتى بعد أن لقي مصيره المفجع ٠٠ وكان من الممكن أن يرتمي نرسيس في احضان هذه الحركة بعد موت هسيود ، ليمنحها حبه العظيم ٠ وليستمد الحب العظيم لجماله منها ٠ لكن تكوينه النفسي والجسدي كانا يقودانه الى مصيره خطوة فخطوة ٠

المرأة القارئة

استفتاء : عبد المسيح مقدسي

يقول العوام (ولا نقول الجهلة) : أحاديث المرأة تافهة ، ومن العار الاخذ بها • وتعليقات الظرفاء • وغير الظرفاء عن امكانات المرأة ، كثيرة والى حد القرف • ومع هذا كله تبقى المرأة محط اهتمام الجميع •• المتفهمون لدورها في الحياة ، وغير المتفهمين أيضا ••• ولانها – أي المرأة – اعتبرت على امتداد التاريخ ، قضية مطروحة على بساط البحث • اصبح الحديث عنها موضوعا شيقا ومثيرا للاهتمام • كما أن حكايتها مع المساواة • وان اختلفت عن حكاية ابريق الزيت • ببعض الميزات القليلة • الا انها لا زالت واياها تتقلبان على كل لسان وشفة •

ولان عامنا هذا وكما أقرت هيئة الامم ان يكون – العام الدولي للمرأة – ولان مطالبة المرأة في مساواتها مع الرجل تشمل ايضا • حقها في الافاضة عن العلم والمعرفة والثقافة • كان لنا لقاء مع بعض القارئات المهتمات بهذا المجال • وقد بدأناه بالآنسة اديبة معروف (موظفة في سد الفرات) • على أن يتلو ذلك لقاءات مع قارئات أخريات في الاعداد المقبلة من – الثقافة – •

وكان اللقاء – استفتاء – طرحنا من خلاله مجموعة من الاسئلة • فيما يلي نصها مع الردود •

س ١ – في عامك الدولي • اختاري لنا كتابا هاما قرأتيه خلال العام • ويتفرع عن السؤال • الاسئلة الجزئية التالية :

أ – اسم الكتاب ؟

ب – اسم المؤلف ؟ •

جـ – نوع الكتاب ؟

د – الدروس المستفادة منه ؟

– جـ ١ ••• أنا أقرأ كثيرا •• ولا استطيع ان احدد لك أهم الكتب التي قرأتها خلال العام لان ذلك يعود الى أهميتها جميعها ، فأنا لا أغالي ان قلت بأنني أملك ذوقا خاصا في اختيار الكتب الا أن أهم ما أحب أن اذكره لك هو انني قرأت مجموعة كبيرة منها ثلاثية الدكتورة « نوال سعداوي » وهي :

– المرأة والجنس (دراسة علمية لواقع المرأة وظروفها) •

– الانثى هي الاصل « تتمة للكتاب الاول مع جملة مقارنات موضوعية للاوضاع الاجتماعية » •

– امرأتان في امرأة « دراسة روائية لتخبط المرأة بين المفاهيم القديمة والحديثة وصراعها معها » •

● س ٢ : هل تقتصرين في مطالعتك ، على قراءة الكتب وحدها ؟ وان صح ذلك فأي أنواعها ترغبين ؟ أم تمتد مساحة اطلاعك لتشمل المجلات والصحف ؟ وما هو معدل انفاقك على الكتب والمجلات بالنسبة لمصروفك الشخصي ؟

– جـ ٢ : ١ – أقرأ كثيرا •• كل ما يقع بين يدي •• دائما اهتم بما ينشر ، واختار الافضل بالطبع ، وان كنت ارتب ذلك كما يلي «قصة ، شعر ، مسرحية »•

٢ – بالنسبة للمجلات أتصفح أغلبها وأقرأ بروية الآداب الأجنبية « حبذا لو صدرت شهريا » ثم الموقف الأدبي – البلاغ – المرأة العربية (أهتم دائما بما يدور حولي من احداث عربية وعالمية) •• وأخيرا الثقافة الاسبوعية (حبذا لو أهتممتم أكثر بالثقافة الشهرية) •

٣ ـ تستنفد المجلات والصحف ما يقارب الـ ٣٠ ٪ من مصروفي الشهري ٠

● س ٣ ٠٠٠ سؤال يتعلق بهواياتك (ولكل امرىء هواياته الخاصة) ٠ فما هي الهوايات التي كنت تودين ممارستها منذ الصغر ، ولم يفسح أمامك المجال من أجل هذه الممارسة ٠

١ ـ ما هي الصعوبات التي وقفت في طريقك ؟

٢ ـ هل لديك رغبة خاصة في تحقيقها (مستقبلا) خاصة وبعد دخولك المجال العملي ٠

جـ ـ هل تمارسين الغناء في حالات خاصة (حفلات عائلية ـ رحلات ـ بينك وبين نفسك) وهل تعتقدين بأن صوتك جميل ؟

د ـ هل تسمعين الموسيقا وأي أنواعها تحبين « كلاسيكي ـ شرقي ـ غربي » ؟

ـ جـ ٣ ـ أ ـ لقد أتيح لي اكبر المجال لممارسة هواياتي ٠ فانا لم أشعر بالكبت على الاطلاق ولعل مرد ذلك يعود لتفهم أهلي وللفئات الكريمة التي يولونها لبنيهم وبناتهم بنفس الوقت ٠ هذه اللفتة التي ينتج عنها عامل الثقة ٠ وهو عامل حيوي ومنشط وفعال ٠

ب ـ بالنسبة لهواياتي ٠ تنازعني رغبة كبيرة للتعبير عن أفكاري ـ حبذا لو استطعت ان اكتب ، وأعبر عما أريد ٠ خاصة في المواضيع الاجتماعية الصميمة لالتصاقها بالواقع والناس ٠ بيد أن مجال عملي الروتيني ـ يشل الكثير من مطامحي ٠

جـ ـ لا أمارس الغناء مطلقا (ربما انسجمت في حفلات خاصة ٠ وغنيت بشكل جماعي لكي لا أظهر قبح صوتي) ٠

د ـ أحب الموسيقا ٠ وانا لا أميز كثيرا ٠ اذ ان اكثر ما يهمني هو اللحن الذي يأخذني بعيدا ٠ او ذلك الذي يهز مشاعري من الاعماق ، ويدفعني للانطلاق ٠

● س ٤ ـ في حال كونك تتمتعين بموهبة ما ٠ وتوفرت لك الامكانات اللازمة لكي تنطلقي ٠ هل توجد عندك الجرأة الكافية للتعبير ؟ « سواء عن طريق النشر في الصحف،أو الغناء والتمثيل على خشبة المسرح»٠

ـ جـ ٤ ٠٠ الجرأة لا تنقصني لاطلاق موهبة أحسها تعيش في أعماقي ٠ لكنني ربما عانيت من الخمول الى حد يبلغ الدهشة٠ ولعلني احدد اكثر لو ذكرت بأن هذه المدينة الجديدة التي أعمل وأعيش بها ٠ لم تستطع حتى الآن أن تدخلني في عالمها بشكل ايجابي وجيد ٠ لعله اختلاف البيئة وهو عامل غالبا ما يسخر بعض الطاقات من اجل الالتزام به ٠ على اية حال تفاءلت كثيرا بوجود البحيرة ٠ خاصة بعد أن امتلات بالمياه وامتدت امام ناظري أنا أعيش صداقة حميمة مع هذه البحيرة ولعلها تساعد في بلورة ما أصبو اليه ٠

● س ٥ ـ أمنيات خاصة تعيش في خيالك « لاداعي لذكرها بالتفصيل » ٠

ـ جـ ٥ ـ انها ليست أمنيات وانما تساؤلات غالبا ما أطرحها واقول : ماذا لو عمت العالم المحبة ماذا لو مارسنا الصدق كبديهة لا تحمل جدلا ؟ ٠ ماذا لو عشنا بلا زيف ولا نفاق ولا اقنعة ؟ ٠

● س ٦ ـ أ ـ هل تذكرين مولدك برقمه الصحيح ؟ وما هو ردك على الفكرة القائلة : « بأن المرأة تكذب في كل مرة تذكر فيها عدد سنوات عمرها » ؟ ٠

ب ـ هل ترغبين بنشر صورتك مع هذا الاستفتاء ؟

أ ـ مواليد عام ١٩٥٢ تماما ٠٠ ومن السخف ان نتنكر للسنين التي تعطينا المزيد من التجربة والنضج ٠

ب ـ لا مانع ـ لكنني لا أملك صورة في الوقت الحاضر ٠

في الحلقات القادمة ـ ردود أخرى ـ

الثورة ـ عبد المسيح مقدسي ـ

اذكروني : مصياف !

شعر علي قاسم الخش

لا تلوموا الغريب في أشجانه — واتركوه يغيب في أحزانه
أيها الناس لا تلوموه عذرا — هل يلام الطوفان في طغيانه
كلما هدهد العذاب وأخفى — فضحته العينان في كتمانه
لونته الجراح ألوان شتى — مثل زهو الزمان في نيسانه
لو تسلى عن الهموم بحظ — عاتبته الهموم في سلوانه
أتمشى مثل اليتيم وحيدا — نادبا حظه وسوء زمانه
كفتيل المصباح ملتهب العين احترا — قا لا زيت في شريانه
يركض الشوق في فؤادي كالسم وشوق المشوق من شنآنه
كغزال مطارد في فلاة — وهلاك الغزال في جريانه
هارب في الوحول مثل سفين — باحث في المحيط عن شطآنه
هارب في الوحول يمضغني الثلج بلون البياض من أسنانه
هارب في الوحول مثل خروف — عاثر الحظ تاه عن قطعانه
أتمنى ذاتي وذاتي عدوي — ويل عين المحب من أجفانه
الصبايا مثل الازاهير حولي — وفؤادي لا شيء في بستانه
كان عندي الرمان أصناف شتى — ثم جف البستان من رمانه
يا عذاب الفؤاد ضاعت سفينتي — وبكاني الشباب في ريعانه
أقفر القلب من غرام حسانه — مثل دير أخلوه من رهبانه
فتداعى من وحشة العمر حزنا — وبكت عينه على صلبانه
أخرست قبضة الحياة شفاهي — أينادي مجرد من لسانه
ذكروني اذا نسيت بلادي — كيف يشفي المحموم من هذيانه
واذكروا لي ميتا ليجمد دمعي — فوق خدي كالدمع في شمعدانه
واذكروا لي مصياف حتى تروني — ساجعا كالحمام في تحنانه
ألم في الضلوع لو بحديد — لاستشاط الحديد من نيرانه

على هامش

حرية المرأة

بـ عبد الباسط الطويل

المرأة ... المرأة ، هذا العالم الجميل وما أكثر الايدي التي تعبث به بقصد او بغير قصد وخاصة في هذه الايام التي تصادف ما يسمونه (عام المرأة) وقد كثر الكلام وكثر الى درجة الثرثرة والقصد من ذلك تحديد هوية المرأة على ضوء حريتها التي يجب ان تتمتع بهـا حتى بات التحدث ، عن المرأة وحريتها معجونا مع خبزنا اليومي ، ومرادفا للاكسجين الذي نتنفسه حتى جاء الحل في اغلب الاحيان مضطربا ، بين صرخة رفض ، وتخبط تائه ، واقرار تراجعي وقلما رأينا الحل المناسب .

فمنهم من وضعها على مقصلة الشنق ونفـذ حكم الاعدام او طالب ، ومنهم من اعطاها واعطاها حتـى سقطت ، ومنهم من اراد ان ينصفها فاسقطها بعيدا في هوة العدم . والمنطلق واحـد الا وهو (تحرير المرأة) واعطاؤها حركة تسير بقطع زائد باتجاه المستقبل ولكن لكل مفهومه عن الحرية .

فمنهم من طرح موضوع الحرية بشكل سيب خارج عن القانون والتنظيم وكأن المرأة (بقرة) ، تعيش في شبه القارة الهندية تمارس كافة رغباتها بشكل عفوي بلا ضابط ولا قانون ، او تلميذة (سارترية) تمارس العهر على ضفاف (السين) بالطريقة التي تمليها عليها غرائزها وكأن الحياة وماهيتها ، ومبرر وجودها ، هي ممارسة الرغبات لا اقل ولا اكثر . فسؤال هنا يطرح نفسه : هل تستطيع الفتاة او المرأة اذا ما اطلقت منذ صغرها بأن تنظم تعايشها مع المجتمع بشكل ايجابي ودون اي شذوذ ان كان هذا على صعيد الجنس او على صعيد السلوكية الاجتماعية بشكل عام ؟ ؟ ؟ والجواب هنا اتركه لدعاة التحرر (المذكور) والذي يمثله هذا القول ومن باب المفاخرة (تصور يا أخي ان الحرية عندنا قـد وصلت لمرحلة اننا كأهل لم يعد لنا أي علاقة مع بناتنا) هذا ماقاله لي احد زملائي (المتحررين) وهذا يمثـل الوجه الاول (للحرية) .

– اما الوجـه الثاني فيدعو ان تكون المـرأة كـ (لوحة الجوكاندا) الرائعة معلقة في غرفة النوم وتحت الاضواء الخافتة وكأنها وجبة دائمة نمارس معها كافة انواع الجشع الجسدي ونرشقها آخر الليـل في (سلة القمامة) فتصبح الحياة عند هذا النوع لا اكثر من غرفة انتظار للموت ، فالخروج من البيت جريمة لا تغتفر ، أما العمل فهو عملية اقحام لا مبرر لها .

– اماالوجـه الثالث فهو الوجه الممسوخ عـن الاول والثاني والناتج عن السقوط في الهوة الكبيرة بين الوجه الاول والثاني من جهة والحقيقة من جهة اخرى ويسمى بوجه (الرفض) او (الاعتدال) غير الشرعي تراه قد اسقط الوجه الاول والثاني (كشكل) وسار بخط مضطرب يقترب من الاول تارة ويزداد قربا من الثاني تارة أخرى (كممارسة) يقع في مطبات عشوائية لايهتدي بعدها الى سلوك تعايشي يساير الاول والثاني او الحقيقة وأنا اسميه(البعد الثالث المشوه) أو الرابع اذا ما اعتبرنا الحقيقة بعدا مشتركا .

تراه يصر على ان تكمـل الفتاة تعليمها الجامعي ولكن لا يقر ان تعمل بتحصيلها هذا وان تلعب دورها كمثقفة وان تعطي المردود المتوخى من دراستها هذه ، ففي الوهلة الاولى اطلقها كفكر ، واعدمها مرة اخرى .

اذا فما هي حرية المرأة ؟ ؟ ؟

– لابد لنا من تحديد جوهر الحرية بالنسبة للمرأة كمرحلة اولى ، واعطائها حركة وموقفا من المجتمع كمرحلة ثانيـة – ...

فهل حرية المرأة تلك التي تطرحهـــا الدكتورة (نوال السعداوي) والتي تدعو الى تمرد المرأة على الرجل بوصفها البديل الافضل عن هذا (التسلط) واعطائها مركز الصدارة في المجتمع ووضع الرجل بالصف الاخير وبكون الدكتورة (السعداوي) (طبيبة) فهـي (تحاول) بكافة امكانياتها الطبية على ان تقدم البراهين التي تثبت ان المرأة أجود من الرجل (من حيث التركيب الفزيولوجي) واشد دهاء من حيث التركيب (السيكولوجي) فلذلك قد آن الوقت لأن تحطم صورة الرجل (الكرتونية) وان تصعد الى ما لا نهاية : تاركة الرجل (ذكـــرى رجل) ٠

ـ او الحرية ٠٠٠ تلك التي طرحها (جان بول سارتر) رغبات ٠٠٠ رغبات ، وتخلص من عقدة الرجل ، والخروج عن مدار قوانينه وتشريعاته الجوفاء لاشباع ما تمليه الغرائز الجسدية وكـــأن الرجل (معتقـــل الرغبات) وزنزانة المرأة المظلمة ، وبأن الحياة (بئر الشهوة) ٠

ـ او الحرية ٠٠٠ هي حرية الطعام والشراب فقط بحيث لا يتجاوز هذا الاخير (الماء) والنوم على فراش الموت مع السيد (السلطان) واعداد ما يلزمه داخل هذا (الكهف) فالتعلم خارج عن حرية المرأة وعمل يحاسب عليه (القانون) والخروج خارج المنزل مكره واذا ماحدث وهي بصحبة زوجها تكون قد (موهت) جسدها بأكثر من (كفن) ٠٠٠ لستر مفاتنها ، اما مشاهدة السينما فهي عهر فاضح ٠

فأيهما هي الحرية ؟؟؟

أهي حرية السيدة (سعداوي) ؟؟ ٠

عذرا سيدتي ٠ اذا اردت ان تصوري الرجل بأنه وهم يجب اجتيازه فهذا ظلم صارخ ، فهو مخلوق لـــه بنيته الحياتية ، ومبرراته الوجودية ، ودوره الذي لاينكر على صعيد الحياة ،والا فما هي صلة المرأة به ، ولماذا هذا الترابط الازلي ؟ ؟ أهو في نظرك عبارة عن واسطة للحفاظ على النوع) وفرق الجهد والمرأة هي سيدة المخلوقات فهـــذا تفسير مغلوط لا يمت الى التعـــايش الاجتماعي بصلة ونحن نعيش القرن العشرين ٠

فالمرأة والرجل ليسا طرفي نقيض كمـــا تزعمين ، انما نصفي دائرة يكمل النصف الاول نظيره الثاني لتكتمل دائرة (الا وهي الحياة) واي عملية تشويه لأي نصف يعني تشويه هذا الكل المتكامل وهما بالنسبـــة للمجتمع كركيزتين فاذا ما انهارت احداهما تداعى المجتمع برمته ٠

ـ ام الحرية هي حرية ٠٠٠ (سارتر) ٠

اما اذا كانت الحرية كمـــا يطرحها (سارتـــر) (مارس رغباتك قبل ان تكب على المزبلة) سواء للرجل او المرأة وهنا نأخذ الجانب الانثوي من العبارة فهـــذا يعني ان المرأة هي الجسد هـــي الرغبات ٠٠٠ هـــي الغرائز ٠٠٠ فقط واذا كانت هي فهذا أبشع عملية اعدام تتعرض لها المرأة منذ التكوين ، فالمرأة هنا لا اكثر من سلعة استهلاكية تخرج من مدار الرجل و (عبوديته) كما يدعي لتسقط في عبودية الجسد وهذا أكبر دليل على سقوط المرأة ٠٠٠ الام ٠٠ الزوجة في المجتمعات الاوربية، ولكن يجدر بنا ان نقف صرخة رفض ٠٠٠ واحتجاج في وجه هذا النوع من الحرية التي هي ضرب من ضروب العبث والفوضى ويطالب السيد (سارتر) وغيره باعادة هيبة المرأة (الام ٠٠٠ الزوجة ٠٠٠ المفكرة ٠٠٠) لتأخذ دورها كاملا غير منقوص على محور التاريخ ٠

اما الوجه الثاني ، او المرض الثاني للحرية والذي يدعو الى اعتصام المرأة في المنزل كالرهبان لا تعرف سوى انها تأكل وتشرب وتنفذ الاوامر الصادرة عن (السلطة)٠

فأقول لهذا النوع من (التسلط) بأنـــه تسلط أعمى لا ينعكس على المجتمع الا بشكل أسوأ من أسوأ وبأن هذا ليس بحرية المرأة ، وليس هو الغاية من وجودها اذا علمنا ان الغاية من الوجود هي تحقيق شرط الوجود، فيجب ان تمارس المرأة عملها كمفكـــر ٠٠ وكجسد ٠٠ وكتعايش اجتماعي ولكن بشكل منظم ومدروس ٠

فكلمة اخيرة احب ان أقولها علها تفي بالغرض : ان المرأة والرجل ليسا على طرفي نقيض او على طرفي مفاضلة ، ٠٠ ليس هناك من أفضل ، ليست المرأة افضل من الرجل ، ولا الرجل أفضل من المرأة ، ولا يمكن ان يقوما بنفس الدور فكـــل مهمـــاته المغايرة للأخر لا يمكن لنا ان نفضل احدهما عن الآخر ، ولا نلغي دور اي منهما ٠ ولكن ليس هذا كل شيء للقضاء على التناقضات الموجودة والمغلوطة عن الرجل والمرأة ولكن الاساس هو الدقة في التنظيم واستخدامها بواقعيـــة مفكرة ، لكـــي لا نقحم احدهما بصورة الآخر وبالتالي نكون قد مسخنا الصورة الصحيحة ووقعنا في فلسفة الممارسة الخاطئة ٠

اللغة والفكر

• بين ديوي والجرجاني

الدكتور محمد الحاج حسين

أصبحت معرفة نشأة الكلام من الابحاث الميتافيزيقية، فعلم اللغة لا يقر الآراء الكثيرة المتضاربة في هذا الشأن سواء منها البيولوجية أو الفزيقية ، أو الاجتماعية التي ذهب اليها الباحثون لانه لا يعترف الا بالابحاث الخاصة لقوانين علمية على الملحوظة والتجربة ، فأصل اللغة يقوم على افتراضات تحمل في طياتها الكثير من الظنون التي لا تتسق مع العلم •

والأصل النفسي لنشأة اللغة يذهب الى ان اللغة شديدة الاتصال بالفكر ، فلا كلام بلاعقل • وينشأ الكلام عندما نحاول التعبير عن أفكارنا • وهذا • معناه – في رأيهم – أن الفكر هو أصل الكلام ، فقد فكر الانسان ثم نطق • ولا يعنون بالكلام التعبير عن الأفكار فقط ، بل هو يشمل جميع العواطف والرغبات والانفعال •

وهكذا عظم الأصل النفسي للغة الفكرية وجعله مصدر الكلام وسببه فالصلة بين اللغة والفكر متلاحمة متداخلة لا يمكن فصمها مادام الفكر هو أصل نشأة الكلام • وهذا الرأي يراه كثير من الباحثين ضربا من الرجم بالظنون التي لا تحل نشأة اللغة فهم يرون أن الصلة بين اللغة والفكر معدومة ولا علاقة بينهما البتة فاللغة تختلف عن الفكر في طبيعتها ووظيفتها ، فهي لا تعدو أن تكون وسيلة التفكير التي يعبر بها عن نفسه •

وجون ديوي – الفيلسوف والمربي الامريكي الكبير – يذهب الى ان اللغة غير الفكر ، ولكنه يعترف بالواشجة القوية التي توثق بينهما ، بل تجعلهما متلاحمين في ارتباط عضوي بحيث أن اللغة تتأثر بالفكر ، وتؤثر فيه بصورة قوية فالفكر لا يتسنى له السلامة الا اذا أتيحت له اللغة الدقيقة الواضحة من حيث المفردات ومن حيث تنوعها ودقتها • والفكر المشوش القلق ناجم عن اللغة المشوشة التي لم تحسن التعبير عنه فاللغة تعبر عن الحقيقة أي أنها استحضار لسلوكنا ازاء الأشياء • ومعنى هذا أن اللغة أداء • وكان الفيلسوف الأميركي مدفوعا الى هذه الآراء انسياقا مع فلسفته البراجمتية العملية فليس الهدف الأساسي من اللغة مجرد نقل الافكار والانطباعات والاوامر ، ولا يتم هذا النقل الى وجهه الصحيح الا اذا فهم الشخص معاني ما يتصل اليه بالشكل الذي يفهمه الناقل ، والا فقدت اللغة جوهرها ، وذهب التفاهم بددا •

عبد القاهر الجرجاني كما يقول عنه يحي بن حمزة العلوي صاحب الطراز « أول من أسس هذا العلم – البلاغة – وأوضح براهينه ،ورتب أفانينه،وفتح أزهاره من أكمامها بعد استبهامها بكتابيه دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة » •

فقد استطاع بعبقريته الوقادة أن يشيد صرح البلاغة على اسس فنية جمالية لم يستطع المنطق أن يحيلها الى أقيسة عقلية جامدة ، فقد استوعب أسرار الكلام واكتنه روعة جماله ، ولو تابعه البلاغيون في نهجه القويم لبلغت البلاغة العربية القمة في ابداعها ، وابتعدت عن السلاسل المنطقية التي صفدتها وأحالتها الى جمود وهمود ، ولا سيما بعد أن سيطر عليها السكاكي بكتابه المفتاح الذي أخضعها للمنطق وأقيسته •

والحق أن عبد القاهر الجرجاني أوتي موهبة فذة في ادراك جمال الكلام البليغ وتحليله واستنطاق روعته يهديه في هذا ذوق مرهف ، وحاسة فنية خصبة ، فالبلاغة التي دعا اليها هي المثلى التي يجب أن يترسمها البلاغيون

لادراك جمال الكلام الفني ، والغوص الى أسراره ، واستطاعت عبقريته أن تسبق زمنها ، فقد نبضت عنده أفكار عن علاقة اللغة بالفكر هي في صميمها الأفكار التي أذاعها ديوي ، وان لم تأت بالتفصيل الدقيق التي بدت لدى الفيلسوف الاميركي ٠ ولا شك أن لتراخي المدة بينهما ، وتطور العلم والحضارة أثره في الطريقة التي وضحت بها لدى الجرجاني ، ولست بزعيم لك أن ديوي عرف الجرجاني ، أو تأثر به ، أو أفاد من آرائه ٠ هذا بعيد عن ظني ٠٠٠ بيد انني أجد في هذا التلاقي الجميل بينهما دليلا جديدا على عبقرية الجرجاني التي كلما تقادم عليها الزمن زادها صقالا ومضاء ، فعبد القاهر عاش في القرن الخامس الهجري ، ووصل في هذه الفترة القديمة التي عاش فيها الى أفكار ديوي أو على الأقل استطاع أن يحيط بجوهرها ، ويبرزها في أسلوب قوي يتقد ايمانا بفكرته والدعوة اليها ٠

وكما ذهب ديوي الى أن اللغة غير الفكر ذهب كذلك الجرجاني ، فنلاحظ أنه في كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز يقر فصل اللفظ عن المعنى أو بعبارة عصرية فصل اللغة عن الفكر ، ويخالف أبا هلال العسكري الذي استجاد العبارات الأدبية للفظها لأن المعاني مطروحة لكل الناس يعرفها العربي وغير العربي ، فهو يرى المزية كلها للمعاني ٠ يقول في أسرار البلاغة : « الالفاظ خدم المعاني ، والمصرفة في حكمها ٠ وكانت المعاني هي مالكة سياستها المستحقة طاعتها فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب ، والتعرض للشين » ٠٠

فعبد القاهر يؤكد أن المعاني هي الأصل ، وليست الألفاظ سوى خدم لهما ، فاللغة غير الفكر ٠٠ ولكنه يؤكد على وجوب التحامها في ارتباط عضوي ، فالمعنى هو الذي يتحكم في اللفظ ، وهو الذي يستدعيه ٠ ونراه في دلائل الاعجاز يحمل على العناية باللفظ فيقول : « وسبب دخول الشبهة عند من دخلت عليه أنه لما رأى المعاني لا تتجلى للسامع الا من الألفاظ وكان لا يوقف على الأمور التي يتوخيها يكون النظم الا بأن ينظر الى الألفاظ مرتبة على الأنحاء التي يوجبها ترتيب المعاني في النفس ، وجرت العادة بأن تكون المعاملة مع الألفاظ ، فيقال : قد نظم ألفاظا ، فأحسن نظمها ، وألف كلمات فأجاد تأليفها جعل الألفاظ الأصل في النظم ، وجعله يتوخى فيها أنفسها ، وترك أن يفكر في الذي بيناه » فعبد القاهر يشجب العناية باللفظ لمجرد جماله ، فلا قيمة له الا اذا التحم مع الفكر برباط عضوي ، فاللغة خادم للفكر ٠٠ غايتها أن تترجم عنه بدقة لأنها مجرد أداة لاستحضار سلوكنا ازاء الاشياء ، ولا يمكن أن يتم هذا الا اذا كانت اللغة وسيلة للفهم بين المتخاطبين ٠٠٠ يقول في أسرار البلاغة : « وهل شيء أحلى من الفكرة اذا استمرت ، وصادفت نهجا مستقيما ، ومذهبا قويما ، وطريقة تنفاد ، وتبينت لها الغاية فيما ترتاد » فالفكر لا يحلو الا اذا أبانت عنه اللغة ، فهما متحدان في رباط وثيق لا ينفصم أحدهما عن الآخر ، بل هما متلازمان ، فاللغة هدفهما ابانة مكنون الفكر ٠٠ ولا قيمة لهما بذاتهما مجردة عنه ٠

ونظرية النظم التي ابتدعها الجرجاني لفهم اعجاز القرآن الكريم هي في جوهرها هذا الترابط العضوي بين اللغة والفكر الذي أشاد به ديوي ، فليس النظم كما يقول : « سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب بعض » فالنظم في هذا التعريف الجامع المانع كلمات تتعلق ببعضها ، وبيان لأسباب هذا التعليق ولا يقصد بهذا الا المعنى العقلي الذي يتساوق مع المنطق فاللغة مرتبطة بالفكر تتأثر به ، وتؤثر فيه لتبرأ من التناقض والاحالة فالاعجاز في القرآن الكريم بالألفاظ ، أو بالاعراب وليس في الحقيقة أو بالتصوير ، وانما هو بكل أولئك ، وبأمر آخر هو المزية الجمالية التي تمنعك أن تبدل حرفا عن موضعه ، أو تأتي بكلمة مرادفة لكلماته ٠

وهكذا نجد أن النظم لدى الجرجاني هو في حقيقته هذا الارتباط العضوي بين اللغة والفكر ، فالألفاظ لا معنى لها الا اذا كانت مرتبة في موقعها بحيث تكون

خادمة للفكر تنقله الى الآخرين ، وتجلو صقاله وتنير ما استغلق منه ، فاذا أخل بترتيب لفظة من مكانها تعثرت اللغة ، ونأت عن هذا الترابط الشديد بينها وبين الفكر . يقول في أسرار البلاغة : « وهذا الحكم ـ أعني الاختصاص في الترتيب ـ يقع في الألفاظ مرتبا على المعاني المرتبة في النفس ، المنتظمة فيها على قضية العقل ، ولن يتصور في الألفاظ وجوب تقديم وتأخير وتخصيص في ترتيب ، وتنزيل . وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركبة ، وأقسام الكلمة المدونة ، فقيل من حق هذا أن يسبق ذلك حكم ما ها هنا أن يقع هنالك كما قيل في المبتدأ والخبر ، والمفعول والفاعل حتى خطر في جنس من الكلم بعينه أن يقع الا سابقا ، وفي آخر أن يوجد الا مبنيا على غيره ، وبه لاحقا . كقولنا ان الاستفهام له صور الكلام ، وان الصفة لا تتقدم على الموصوف الا أن تزال عن الوصفية .. الى غيرها من الأحكام » .

وهذا النص غني في دلالته ، فاللغة التي لا تنتظم مع الفكر بهذه الوحدة العضوية التي توثق بينهما تفقد خصائصها وقيمتها ، فالألفاظ يجب أن تكون مرتبة على المعاني المرتبة في النفس بحيث تكون هذا التلاحم الشديد بينهما ليتهادى الفكر واضحا منسقا في جلوة ساحرة بعيدا عن اللبس والغموض ، فعبد القاهر يرى أن قلقلة اللفظة من مكانها يجعل المعنى مستغلقا واللغة خادم أمين لنقل الفكر . والالفاظ لا حياة لها بدون المعاني التي تدور في الذهن . يقول في أسرار البلاغة : « فاذا رتبت البصير بجوهر الكلام يستحسن شعرا ، او يستجيد نثرا ، ثم يحمل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق ، وحسن أنيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع الى أجراس الحروف ، والى ظاهر الوضع اللغوي ، بل الى أمر يقع من المرء في فؤاده وفضل يقتدحه العقل في زناده » وهذا النص صريح في مرماه ، فليست اللغة سوى لحمة الفكر وسداه ، فالاعجاب بالشعر والنثر لا يتأتى من الالفاظ الرشيقة الموسيقية ، بل يتأتى من الفكر الذي يكمن وراءها ويختلج في اهابها ، فالجرجاني يعترف بالواشجة الشديدة التي تربط اللغة بالفكر كما وردت عند ديوي .

ويرى ديوى أن الفكر لا يكون سليما الا اذا أتيحت له اللغة الدقيقة ، والجرجاني دعا الى هذه الفكرة في تشييد صرح بلاغته الباذخ ، فالفصاحة عنـــده ليست بالكلمة ، ولا وصفا داخلا بهما ... انما هي كالكلمة التي يتداولها الناس ، ويعرفونهـــا في استعمالهم ، وفي زمنهم . يقول في أسرار البلاغة : « وأما رجوع الاستحسان الى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه وكونه من أسبابه ودواعيه فلا يكاد يعدو نمطا واحدا ، وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم » فالفصاحة تكمن في الكلمة المأنوسة لدى جميع الناس لأنه أدرك أن الفكر لا يمكن أن يكون واضحا الا اذا كانت الألفاظ التي تترجم عنه دقيقـــة واضحـــة لا يستغربها الناس ، فغاية اللغة أن يفهمها الجميع . ولهذا وجب ألا يكون اللفظ « وحشيا غريبا ، أو عاميا سخيفا ، سخفه بازالته عن موضوع اللغة واخراجه عما فرضته من الحكم والصفة » فالألفاظ السخيفة لا تخدم الفكر لأنها تنقله مشوشا بادي الاضطراب بحيث يفقد وضوحه ودقته عندما تستعمل كلمات خارجة عن المفهوم اللغوي . فالفكر المشوش نتاج اللغة المشوشة كما يقول ديوي . والجرجاني يؤيده بقوله : « والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التاليف ، ويعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب » فغاية اللغة خدمة الفكر بجعله واضحا ودقيقا بعيدا عن كل التواء . ولهذا وجب أن تكون اللفظة دقيقة في مكانها ، حية في استعمالها لتكون أمينة في نقل الفكر ، وافهامه للآخرين . ولهذا دعا الجرجاني الأدباء أن يعيشوا في زمانهم ، ويقبسوا لغتهم مـــن الكلمات الحية التي ينطق بها النـــاس ويتداولونها ، وينأوا بجانبهم عن الكلمات التي هجعت في المعاجم بعد أن فقدت كل حياة بازورار الناس عنها فلا يمكن أن يتصور لفظا من غير معنى : « وكيف يتصور أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى ، وأنت اذا أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال ، وانما بطلب المعنى ، واذا ظفرت بالمعنى ، فاللفظ معك ، وازاء ناظرك » فاللغة تفقد جوهرها اذا لم تبن عن الفكر ليتم التفاهم ، والالفاظ تتساقط على الورق في يسر اذا كانت المعاني مرتبة في الذهن فقد أدرك عبد القاهر أن تغيير الألفاظ يتبعـــه تغيير المعنى .

الست معي أن هنالك قرابة قوية بـــين أفكار الجرجاني وجون ديوي رغم تراخي الشقة بينهمـــا ! وهكذا تتلاقى العقول الكبـــيرة مهما تباعدت بينهم الظروف والبيئات .

الأدب في اتجاهيه المعاصرين

• مازن الوعر •

مدخل ـ هل للأدب غاية غير الامتاع الفني ؟ هل ينبغي أن يحقق قيما أخرى غير هذه القيمة التي يلتمسها وهي الجمال فيلتزم سنن الأخلاق مثلا أو يدخل غمار السياسة فيكافح الفساد الاجتماعي وينافح عن المصلحة العـامة ؟ ؟ .

هل الأدب مستقل بالجملة أم هو تابع للمجتمـع ومقتبس لألاءه من نوره ؟ وبكلمـة أخرى : لأي شيء وضع الأدب ؟ وما مكانته في مجمل التجربة الانسانية ؟ هذه الاسئلة لم تتبلور أجوبتها الا في العصور الحديثـة عصور النهضة الأدبية وانقسم القوم فريقين :

فريق يرى أن الأدب جزء من فعالية انسانية عامة وهذا الفريق لا يهتم الا قليلا بكيفية عمل الأدب في حد ذاته . وفريق آخر يرى أن الأدب فعالية متضمنة ذاتها لها مناهجها وأهدافها ..

أمـا الفريق الأول فيطلق عليـه مذهب الفـن للحياة ... وأما الفريق الثاني فيسمونه مذهب الفن للفن ...

وسوف أتناول واحدا من المذهبين في هذه العجالة مرجئا الحديث عن المذهب الثاني الى أعـداد قادمة ان شـاء الله :

الدراسـة :

وليكن هذا المذهب الذي سوف نتحدث عنه مذهب الفن للفن هذا المذهب نشأ في القرن التاسع عشر فترة النهضة الأوربية والفلسفات المتنوعة كان يمثله أوسكار وايلد الذي كان يرى أن الفنـان هو صانـع الأشياء الجميـلة ....

وهذا الموقف شبيه بموقف الناقد وولتر باتر عندما قال في كتـابه « الرينساس » لقد أصبح اتجـاه الفكر الحديث التنبه الى كل شيء والى مبدأ كـل شيء ... على أنه أسلوب أوزي متغير ... ان واجب الفلسفة والثقافة التأملية نحو روح الانسان هو ايقاظها واثارتها لتحيا حياة الملاحظة الدائبة المتشوقة .... ففي كل لحظة نجد القالب يبلغ حد الكمال في يد أو في وجه أو نجد لونا من الألوان على التلال أو البحر يفوق غيره فتنة أو نجد حالـة من الوجد أو انفاذ البصيرة أو الانفعـال الفكري يصبح حقيقة لا تقاوم تجذبنا بقـوة لا تقـاوم ولكن لتلك اللحظة لا أكثر فانما الغاية ليست ثمار التجربة بل التجربة نفسها » .

هكذا نرى أوسكار وايلد وولتر باتر يحددان هذا المذهب بتلك الجمل التي تحمل الكثيرمن الشرح والتطويل.

ولكن ما هي سمات هذا المذهب الذي لا يدعو الى هدفية الحياة بل يدعو الى هدفية الجمال ؟..

سمات رئيسية لمذهب الفن للفن :

يجب أن ننوه في بداية الحديث الى أن هذا المذهب كان احتجاجا صارخا وتحديا كبيرا لمذهب الفن الهادف الذي كان مرتكزا على أساس نظري فلسفي . من هنا أطلق النقاد على هذا المذهب اسم « مذهب عباد الجمال » وذلك انطلاقا من قول أوسكار وايلد « ليس هناك كتاب أخلاقي وكتاب منافٍ للأخلاق انما الكتب امـا جيدة الصياغة أو رديئة الصياغة .... »

هذا المذهب يريد من الأديب والفنان أن يتناول الاحساس وأي احساس بالجمال عن اقتناع وصدق فيما بينه وبين نفسه ثم يعبر عن هذه القضية بأصالة متينة جميلة لكي يوحي لنا ذلك الأثر الفني والأدبي أن مصدره

(١) هذا المقال من بحث بعنوان « الأدب الى أين » أعدّ لطلبة السنة الرابعة من قسم اللغة العربية جامعة دمشق للعام الدراسي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ .

انما هو الجمال والأصالة الفنية وحسب ٠

وهذا بالطبع يبعد المفكر عن أية قضية اجتماعية أو خلقية لأن الأدب هنا يستمد قيمته من ذاته لا من خارج الذات ٠

ويؤمن هذا المذهب بأن الفن هو التكافؤ بين العواطف والانفعالات التي تجيش في أعماق الأديب والفنان وبين الصورة ٠ من هنا كان الأديب أديبا لا أكثر أي أنه انسان يحب ويعبر فهو ليس عالما ولا فيلسوفا ولا أخلاقيا ٠٠٠ وقد تنصب عليه صفة التخلق من حيث انسانيته أما من حيث هو فنان خلاّق فلا نستطيع أن نطلب اليه الا شيئا واحدا هو التكافؤ التام بين ما ينتج وما به يشعر ٠ ان الأدب في نظرية الفن للفن متعة فقط فقد يكون المنظر الذي تمثله لوحة من اللوحات حبيبا الى قلبنا لأنه يوقظ فينا ذكريات جميلة ثم تكون اللوحة قبيحة من الناحية الفنية ٠ وقد تكون اللوحة جميلة من الناحية الفنية مع أن المنظر ثقيل على النفوس مقيت ٠ ورب صورة نعترف بجمالها ثم هي تثير فينا الحنق والحسد لأنها من صنع عدو لنا ٠

من هذا يثبت أصحاب هذا المذهب أن الفن والأدب لا شأن لهما بالمنفعة وعلى هذا يريد أصحاب هذا المذهب أن الأدب ينبغي أن يكون مستقلا وأنه لا يحقق غايته على أكمل وجه ـ وهي الامتاع الفني ـ الا اذا تهيأ له هذا الاستقلال ٠

ان الأدب عند أصحاب الفن للفن هو الذي ينبغي له أن يحلق بجناحين طليقين من كل قيد فهو ينبغي له أن يحلق في الأجواء أو يهيم في أعماق الأودية ٠

وهو الذي يعبر عن العواطف ويترجم المعاني والأفكار ويصوغها في صيغ وأشكال فنية فيبدلها بذلك بعض التبديل ٠٠٠ انه يسكبها في قوالب جديدة وهو يصفيها ٠

ان الأديب الحق في نظر أهل هذا المذهب هو الذي يعمد الى تأليف متناسق وتركيب مستساغ وأن يعرض علينا نماذج جديدة تنطوي على الجمال الفني الصميم فتبدو تلك العواطف والأفكار والمعاني وراء تلك النماذج الجميلة ومن خلال تلك الأطر البديعية الخالصة من أوشابها الواقعية ٠

وهؤلاء يردّون على قضية ادخال الأخلاق في العملية الفنية بقولهم : ان الأديب متى استطاع أن يحيا حريته واستقلاله تيسر له عندئذ أن يدعم مكارم الأخلاق وأن يعود بالخير على المجتمع ولكن بطريقة عرضية غير مباشرة ٠ ذلك أن الأدب بما يلوح به من كمال التركيب وبما يعرضه من جمال واتقان مترافقين في الصيغة يستميل اليه النفوس ويعودها حب الكمال والرغبة في الاتقان ٠ فهي تمارسها فيه وترنو اليها من خلاله ٠

ثم ان الأدب يصدق عن وجهة النظر النفعية لأن من صفات التذوق الفني تنزهه عن المآرب وخلوه عن اللبانات ٠٠٠ أوليس العارف في الفن يفضل اللوحة والقصيدة الجميلة تصوران زهرا بديعا وثمرا شهيا على ما دلتا عليه في الطبيعة ؟ وربما انطلاقا من ذلك التفسير نرى أن مذهب الفن للفن يقول انه من الخطأ أن نعتبر الادب والاخلاق عدووين متخاصمين ٠

صحيح أن الأدب وسيلة الهام وترفيه وتنفيس وتطهير وتعديل للاهواء عند الأديب ومتذوق الأدب ولكن في الوقت نفسه وبهذا المعنى فقط تكون للادب وظيفة اجتماعية مثالية أو تهذيبية ولكن لا يعني هذا أن أصحاب الفن للفن يقيسون الفن أو الأدب بمقدرته على التهذيب وصقل النفس وبما فيه من حكمة أو عظة بل يقيسون الأدب بمنظار جمالي ٠٠ ومن المنظار الجمالي تنبع مثل تلك الأمور على حد زعم بودلير ٠

ان الادب ينبع من ذاته بحكم طبيعته ووحيه وكل من يستهدف في نظرهم الدعاية فهو فن ساقط منبوذ ٠٠٠ ولكن اذا اعتبرنا الفن مرآة للحياة الاجتماعية

محاسنها ومساوئها فعليه أن يتناول هذه النواحي بشرط أن يكون فنا خالصا • ولكن العمل الادبي اذا قام به أديب فيجب ان يكون على مستوى من الجمالية السوية وليس هناك مجال للثغرات الفنية والجمالية ••• وهذا ما عناه « كانت » عندما قال : « أن أفضلية الفن الجميل تقوم في أنه يستطيع أن يخلع الجمال على القبح لكن هناك نوعا من القبح لا يمكن تمثيله دون أن تهدم اللذة الجمالية وهي تمثيل للاشياء التي تثير الاشمئزاز » •

وخلاصة هذا المذهب أن المتعة والجمال الفني هما أساس أي عمل أدبي ••• ومن المتعة والجمال قد تنبع الاخلاقية •

وجهة نظر تقدمية لمذهب الفن للفن :

ان اصحاب « الفن للفن » كما تقدم يعتبرون الادب صورة خالصة تفيد المتعة واللذة ولكنني أشك بهذا القول لسبب واحد وهو تساؤلي عن الدور الذي يمكن أن يحتله عالم من الصور المجردة الخالصة من الاخلاق في عالم الفكر •

وهل هناك عيشة أشنع من عيشة الحلم الذي يحلم ويتألم في وسط عيون متفتحة في حياة تقتضي من كل انسان مهما كان دوره أن تكون أعينه منفتحة ••• ثم ما هو جدوى التأمل المحض في عالم العقل المنفتح والفكر اليقظ القوي ••• فهل يكون الحلم فنا ••• ؟

ان مذاهب عديدة تفرعت عن هذه النظرية ولكن سرعان ما كانت تومض ثم تنطفىء ••

خذ السريالية مثلا فهي تذهب الى ان العنصر الجوهري للشعر يكمن في الصورة المجردة والصورة المجردة من نتاج الخيال ، وفي هذا الخيال على الشاعر أن يثق بالالهام ويستسلم له بحيث يستقبل هذه الصورة التي تنبع من وجدانه أكثر مما يحاول خلقها بفكره المحض عن طريق الشعور •

في الواقع ان هذه نظرة في الدعوة الى هذه الفنية • لانها جردت الفن من أي مضمون لا يثير الاحساس بالجمال في نفس الانسان ••• وقد كان خطؤها أن فصلت بين الشكل والمضمون وبذلك عزلت الفن عن صورته •

ان مدرسة الفن للفن عزلت بين الادب وبين المجتمع والاخلاق وقالت بأن الفن والادب له قوانينه وله دولة ذات سيادة ليس فيها من سلطان ولا رعايا الا الجمال • ان انفراد أصحاب هذا المذهب بالشكل ليس من الفنية الدقيقة للعمل الادبي لان العمل الادبي هو تركيب عياني يشكل العاطفة والصورة والموضوع وكل ما من شأنه أن يقوى من فعالية الاثر الفني والا لو كان الامر يرتكز على الصورة وحدها فانه لاشكعندئذان تكون الصورة الادبية ورقة جافة في مهب الخيال ونزوات العبث •

ونحن نقدر الاديب الانسان الذي يعبر عن انفعالاته والذي يريح نفسه حين يظفر بالتعبير عن تلك الانفعالات الخاصة التي هي انفعالاتنا ايضا • ونقدر أن انفعاله للصورة كان من حيث هو انسان فنان وانفعاله لشيء آخر لكونه فنانا انسانا •

ولكن الذي نأخذه على الاديب هو غرقه في الصورة التي تنمو وتترعرع على حساب المحتوى وبذلك يتشكل التخلخل الفني من خلال معيارية ثقيلة في الشكل •

حسن أن تتأمل ولكن الامل والسبحات في عالم الخيال يجب أن يؤدي الى تغيير في الواقع لقد هبطت المعرفة من السماء الى الارض وأصبحت أثر انسانيا متصلا •

مازن الوعر

محبــة ابويــة

لي أوسونغ

كان الزعيم العظيم للاربعين مليونا من الشعب الكوري ، الرفيق كيم ايل سونغ ، ابان النضال المسلح العسير المناهض لليابان ، يعني بالمقاتلين الشباب الذين فقدوا اباءهم وأخوتهم واخواتهم على أيـدي العدو ، وانضموا الى صفوف حرب العصابات ، وكـان يتعهدهم بالمحبة الحارة ويربيهم مقاتلين ثوريين ٠

كان معظم جنود الاتصال في مقر القيادة في تلك الايام ، الذين مهمتهم الرئيسية هي الحفاظ على الارتباط ما بين وحدات حرب العصابات ، هم من الفتيان الايتام الذين ترعرعوا بقيادته الشخصية حتى غدوا مقاتلين حمرا للثورة ٠

لقيت الرفيق القائد للمرة الاولى بعدما انضممت الى وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان ، في الربيع من عام ١٩٣٨ ٠

ربت على رأسي ، وسألني بالتفصيل كيف اصبحت من وحدات حرب العصابات ٠ كـان عمري اثنتي عشرة سنة آنذاك ، وقد أخبرته بكل ما حصل لي ، كما لو كنت احدث والدي : لقد مات ابي جوعا في قاعدة حرب عصابات تشو تشان زو ٠ وقبل ان يموت مباشرة ، قال لي ويدي في يده ٠ أن علي ان اصطحب شقيقتي الصغيرة التي كانت آنذاك في السادسة ، الى جبل نايتوسان ٠ وفي طريقنا الى نايتوسان ، لقينا بغتة اختنا الكبرى التي كانت قد برحت أبان تأدية مهمة سرية الى أحدى البلدات ٠ هكذا ، فقد تركت اختي الصغيرة معها وتابعت وحدي الى جبل نايتوسان ٠ بلغني فيما بعد ما يفيد ان شقيقتي قد ماتتا جوعا في طريقهما الى جبل نايتوسان ٠ انهيت قصتي وأنا أجهش بالبكاء ٠

بعدما فرغ من الاستماع الي ، جذبني الرفيق كيم ايل سونغ اليه وعانقني بهدوء ٠ كانت عيناه مبللتين، وعندما رأيتهما، لم أعد أصبر على كبت الاسى في نفسي، فانفجرت باكيا ، ووجهي مغمور في صدره ٠

قال وهو يشجعني ويلهمني بالآمال في المستقبل : « يا أو سونغ ، يجب أن تكبر لكي تغدو رجلا طيبا يسحق العدو ، الامبرياليين اليابانيين الذين أودوا بأبويك وبشقيقتيك ، فتصبح دعامة للبلد » ٠

رحت بعد ذلك اترعرع في دفء عنايته ٠ وقعت احداث كثيرة في السنوات اللاحقة ولا يسعني أن ارويها كلها هنا ٠ أود أن أروي حدثا واحدا فقط ، وقد بقي حيا في ذاكرتي ، على الدوام ٠

وقع ذلك في خريف عام ١٩٣٩ ، وكان لي من العمر ثلاثة عشر عاما آنذاك ٠ اتفق في أحد الايام ان عسكرت وحداتنا في غابة من محافظة آنتو ٠ ضربنا نحن جنود الاتصال خيمة للرفيق كيم أيل سونغ ، وانتظرنا عودته ٠

كان قد خرج لتفقد الوحدات أبان تخييمها ٠ كان الليل في أواخره ، ولكن لم تكن هناك علامات تشير الى عودته ٠ وبدون وجوده ، كان داخل الخيمة يبدو فارغا تماما ٠

تساءلت : « لماذا لم يعد بعد ؟ »

« أنا متأكد انه سوف يعود في أية لحظة » ٠

« ماذا نفعل اذا توقف لقضاء الليلة في مقر احد

الالوية ، كما فعل في مرة سابقة ؟ » عيل صبرنا ونحن ننتظر عودة الرفيق كيم أيل سونغ ، ولم نتمكن من الهدوء وبقينا ندخل الى الخيمة ونخرج منها ٠

قلت وانا انطلق على عجل : « دعوني الآن اذهب وابحث عنه » ٠

كان الصمت رانيا على الغابة المظلمة ٠ تلمست سبيلي بلا صوت عبر الغابة مخافة ازعاج أو ايقاظ الرجال الذين كانوا يغطون في النوم بجانب نيران المخيم هنا أو هناك ٠

ذهبت الى كل مكان يمكن ان يكون قد ذهب اليه ، ولكن لم أجده ٠ عدت وأنا أفكر لعله عاد الى الخيمة ابان غيابي عنها ٠

ان هواء الليل في الغابة العميقة من الشمال شديد البرد ، يحدث القشعريرة ٠ كان رجال حرب العصابات نائمين ، وقد اتخذوا الاوراق المتساقطة غطاء لهم ٠

تسللت وأنا أسير بين الرفاق النائمين حتى بلغت الجانب الاخر من الغابة ٠

وجدت هناك الرفيق كيم ايل سونغ ، محني الظهر ، يجمع الاوراق المتساقطة ويدثر بها المقاتلين النائمين ٠

قال بصوت مكتوم لجندي الاتصال الواقف الى جانبه : « اذهب وأجلب بطانيتنا » ٠

أصر جندي الاتصال : « البطانية ٠٠٠ ، ليس هناك الا بطانيتك ايها الرفيق القائد » ٠ ولم تبدو عليه علامة من يزمع ان يغادر المكان ٠

« الخيمة تكفينا ٠ يجب ان يدثر هذا الرفيق جيدا لكي يدفأ ، انه مصاب بالرشح ٠ اذهب وأجلبها بسرعة ! » ٠

كان صوته لطيفاً بيد انه حازم ٠ لم يكن في وسع جندي الاتصال أن يردف شيئا ، فغادر المكان بخطى واسعة الى مقر القيادة ٠

وعلى ضوء نار المخيم ، رأيت ملامح الرفيق كيم ايل سونغ تتحرك ببطء ، وقد انحنى ثانية بجميع الاوراق الساقطة ٠ استطعت أن أرى بوضوح الابتسامة على محياه وهو ينظر الى وجوه المقاتلين النائمين ٠

تتالت أحداث كثيرة منذ ذلك الوقت وحتى اليوم ، ومع ذلك ، فما زلت أستطيع أن أرى بجلاء، بعيون الذاكرة، صورة الرفيق كيم ايل سونغ يتفقد كل واحد من المقاتلين النائمين ويجمع الاوراق الساقطة لحمايتهم من الصقيع ٠

ولم يكن هذا كل كل شيء ، فقد كان يتذكر من منهم مصاب بالرشح ، وقد أعطاه البطانية الوحيدة التي كانت متوفرة له ٠ ما أعمق هذه المحبة ! وكيف يمكن وصفها بمجرد عناية القائد بأحد رجاله ٠ ليس بوسع الأبوين أن يبديا لأولادهما محبة أعظم من هذه ٠ شعرت مرة أخرى كم أنا سعيد لأني أترعرع جنديا في كنف عنايته العطوف ٠

أقسمت في أعماق نفسي : سوف أقاتل ، ناذرا كل فلذة مني ، جسدا وروحا ، للثورة ، على الدرب الذي يشير اليه ، بحيث أثبت جدارتي بمحبته التي لا تعرف الحدود ، وهي الاعمق من البحار والأعلى من الجبال ٠٠٠

غذذت الخطى راجعا نحو الخيمة ٠

عاد الرفيق كيم ايل سونغ بعد قليل ٠

نظر الينا من حوله داخل الخيمة وهو يسأل :

« لماذا لم تناموا بعد ؟ » ٠

بقينا صامتين ، حسبنا ان ننظر الى بعضنا بعضا ، لا نعلم بماذا نجيب ٠ كان علينا الآن أن نصنع له فراشا ، غير انه كان قد أعطى البطانية الوحيدة لرجل حرب العصابات المصاب بالرشح ٠

انتابتنا العصبية ، لا ندري ماذا نفعل ٠

علم ما يجول في أخلادنا في الحال وقال :

ويمكننا ان ندفأ أثناء النوم ولو بدون بطانية ٠ لا تأبهوا وتعالوا جميعا استلقوا الى جانبي ٠ سوف ندفأ تماما اذا نحن رقدنا بعضنا بجانب بعض » ٠

وحتى عندما كانت البطانية موجودة ، لم يستخدمها لوحده • لم يسعنا أن نرفض دعوته اللطيفة الملحة ، فكنا ننام دائما بجانبيه ، ونشاطره البطانية •

هكذا ترعرنا في احضان عطف الرفيق كيم ايل سونغ، وعنايته الدافئة ، كما يترعرع الاولاد سعداء في احضان ابائهم •

واليوم يترعرع اولادنا وشبابنا هم أيضا في كنف عطفه ومحبته غير المحدودين ، العميقين الدافئين ، ناعمين كل يوم بحياة جديدة سعيدة على طريق النضال الثوري المجيد الذي أشار اليه وأناره •

الواقعية والرومانسية في الثقافة البولندية

للاديب الكاتب « فوود جيمييج سوكورسكي »

ان الثقافة تنمو ليس فقط من الاحتياجات الراهنة للمجتمع أو من احرازاته وتجاربه ، بل تمتد جذورها ايضا وتنمو من التقاليد المتراكمة مع مر السنين والقرون ، والتي يوصلها الاجداد الى الاحفاد جيلا بعد جيل باشكال احسن فاحسن • وفي هذا المضمون يمكننا ان نتحدث عن استمرار الثقافة المميزة لكل شعب من شعوب العالم •

وفي الثقافة البولندية وتطويرها المستمر ترجع دائما وتتكرر الرومانسية بجميع مشتقاتها وتياراتها ، كاتجاه يساهم في تشكيل الادب والفن الاشتراكيين • والشيء المهم هنا هو ليس ان اكثرية المسرحيات شعبية في بولندا ما زالت اعمال «ميتسكيفيتش» و «سوفاتسكي» و « فيسبيانسكي » ، ولا ان تقاليد مسرح « ليون شيللر » المشابهة لتقاليد « ارفين بيسكاتور » و «برتولت بريخت» ما زالت في الادب الانساني • والتقدمي البولندي الثوري هو ان الرومانسية والمواقف الرومانطيقية ازاء العالم ما ازلت في الادب الانساني والتقدمي البولندية الثوري كخيط احمر يشاهده المطلع والعارف للثقافة والادب في بولندا المعاصرة • وهذا الاتجاه هو قوي وثابت في المعنى التاريخي • والمناقشات التي جرت قبل فترة قصيرة من الوقت على صفحات ـ المجلة الادبية الشهرية ـ بين جيلين من الكتاب والادباء البولنديين ـ الجيل القديم نسبيا والذي ابتدأ انتاجه الادبي في أواخر الخمسينات ، والجيل الجديد الذي يناضل اليوم لدخول الانتاج الادبي ـ هذه المناقشات دارت بالذات حول موضوع كيفية وضع وتكييف الرومانسية للايام الحاضرة •

وبالطبع كان التيار الواقعي دائما قويا جدا في الادب والثقافة البولنديين • ولكن التجارب اظهرت ـ خلال الحرب وفي ايام السلم ـ وكذلك اليوم ، اظهرت ان الرومانسية هي أقرب لخيال ومشاعر القراء في بولندا • وحتى الطليعة البولندية في الادب والثقافة كانت تتقسم الى اتجاه ينبع من الرومانسية الجديدة لفيسبيانسكي ، واتجاه اخر من ـ بشيبيشيفسكي ـ الملهم الاول لاسلوب ـ كافكا ـ • ولكن ، في حين وجد التيار الاول خلفاء واتباعا له فيما بعد لم يترك التيار الثاني اي اثر عميق •

لا غرابة بان تقاليد الاشتراكية والشيوعية البولندية نمت من الناحية التاريخية والفلسفية على ارضية الثقافة والتفكير الواقعيين ، وجذورها عميقة ومتأصلة في التيار الرومانسي الانساني البولندي • ولذلك، وبغض النظر عن القوانين المشتركة التي يتصف بها التطور الاشتراكي في جميع البلدان الاشتراكية ، من الصعب فهم الثقافة البولندية ـ والثقافة الاشتراكية البولندية من ضمنها ـ دون تفهم التاريخ والتقاليد الوطنية البولندية التي تكمن عند اسس التيارين الاساسيين في الثقافة والفن البولنديين ، أي الواقعية والرومانسية في نفس الوقت ••• والشيء الواضح هو ان الواقعية الانسانية والرومانسية هما ليستا فكرتين منفصلتين ، ففي كل عصر يظهران في اشكال مختلفة ومضامين متغايرة ويمثلان اتجاهات ايديولوجية

واجتماعية مختلفة · فمثلا « ادم ميتسكفيتش » اكبر الشعراء البولنديين قاطبة ، ورئيس تحرير مجلة « تريبونا لودو » التي كانت تصدر في باريس عام ١٨٤٦ الى عام ١٨٤٨ كان يمثل ما يسمى بربيع الشعوب الذي ناضل من أجل افكاره في بولندا ، ثم مع « غاريبالدى » في ايطاليا ، وعلى متاريس باريس ، واخيرا ضمن الكتائب البولندية في تركيا · و « ستيفان جيروسكي » يمثل ثورة ١٩٠٥ ونضال بولندا من اجل الاستقلال ، « وليون كروتشكوفسكي » حرب على الفاشية ، ومن أجل تحرير البلاد ، ونضال في سبيل البناء الاشتراكي ···

وأما الجيل المعاصر فيمثل الوقت الحاضر ، وقت البناء السلمي ومبادىء التعايش السلمي ، يمثل تنفيذ وتحقيق مبادىء الانسانية الاشتراكية السامية · ولكن رغم ما يفصل الجيلين المذكورين من وقت وعصر ، وبغض النظر عن اختلاف اشكال النضال والكفاح والانتاج الادبي الثقافي ، يجمع هذين الجيلين نفس الافكار تقريبا ، افكار الروح الوطنية وحب الوطن ، التضامن مع الشعوب الاخرى ، ومع جميع الناس الذين يسعون جادين لخلق واقع جديد واشكال حياة جديدة على ارضية الايديووجية الاشتراكية · ويمكننا التأكيد هنا ان الرومانسية البولندية القديمة والجديدة كانت كلها ظواهر وتيارات ايجابية تقدمية ساهمت في تطور المجتمع البولندي ومسيرته في الطريق الصحيح ·

الا ان تطور المجتمعات البشرية لا يتم بلا عقبات أو صعوبات ، وبدون نزاعات وتناقضات · وهذا كله ليس غريبا حتى المجتمعات الاشتراكية · ان عملية الخلق هي ليست عملية حسابية محضة ، فهي عملية تساهم فيها الملايين من البشر والاجسام الحية · والامبريالية ، والاستعمار والاستعمار الجديد هي ليست شيئا لتخويف الاطفال ، فهي قوة واقعية موجودة ترفع راسها من فترة الى أخرى · واذا كانت شعوب اسيا وافريقيا وبلدان العالم الثالث باسره تتحرر وتبني كيانها المستقل رغما عن انف هذه القوة ، فذلك راجع الى بطولة هذه الشعوب ونضالها المستمر ، وكذلك راجع الى التضامن الذي تلاقيه شعوب هذه البلدان من جانب الدول الاشتراكية والقوى التقدمية في جميع ارجاء العالم · ان تعقد هذه العمليات وظواهر النزاع ، والصعوبات الموجودة في طريق تنفيذ وتحقيق سياسة الانفراج ، والتوصل الى السلام والامن والديمقراطية ، كلها عمليات تثقل كاهل بلدان العالم باسره لا فرق بين واحد واخر ·

وأفكار الانسانية الاشتراكية هي اذن ايديولوجية جميع الناس والشعوب المناضلة المكافحة ·

وهنا تكمن واقعية الاشتراكية في فهمها للعمليات التي تجري في العالم ، ومع ذلك ثمة عنصر الرومانسية فيها اذا تعلق الامر بمستقبل العالم والبشرية جمعاء · وهنا ايضا تكمن صلابتنا وثباتنا اذا تعلق الامر بالدفاع عن القيم الاشتراكية الانسانية · ان الانتصار ثمنه مرتفع جدا ، ولكن مثال التشيلي وروديسيا يظهران النكسات ثمنها اغلى بكثير ، ولذا لا يمكننا ان نسمح بان تكون الاشتراكية والواقعية الانسانية مرادفة لـ ــ اللا قوة ــ ، أو أن تكون الرومانسية مرادفة للعقم أو الخيال · كلا ، لم تكن كذلك تقاليد النضال الطبقي في بولندا في يوم من الايام ، ولا الكفاح القومي والوطني ···

واما التشاؤم والضعف كظاهرة اجتماعية فلم يكن لها اي اساس في تاريخنا ، ولا في ادبنا أو ثقافتنا ، ولا في نفسية المجتمع البولندي · والوجودية لم تضرب جذورها عميقة فينا ، وان كان لها بعض الاتباع فذلك كان امرا عابرا ثانويا · ولكن كتاب « البؤساء » للكاتب ــ فيكتور هوجو ــ ،وكتا ب ــ مصير الانسان ــ للكاتب «اندري مالرو» ما زالت تقرأ من قبل الشباب البولندي · وانا هنا اتكلم طبعا عن الظواهر السائدة وليس العابرة ، فمثلا يشاهد جمهور السينما في بولندا افلام « بيرجمان » ، ومسرحيات « بيكيت » و « بينتز » ، ولدينا بعض اتباع « كافكا » ، والتجربة ليست غريبة عن الفنون البولندية ··· ولكن

كل ذلك هي ظواهر عابرة ثانوية كما قلنا ، ظواهر لا نحاربها أو نمنعها ، ولكنها تضمحل وتزول بسرعة لعدم وجود التربة الصالحة في بلادنا لها · ولكن عندما تعرض مسارح مدينة « كراكوف » مسرحية « الاجداد » لادم ميتسكيفيتش يؤم المدينة جمهور من جميع ارجاء بولندا لمشاهدتها فالمسرحية تمثل هناك بلا انقطاع منذ اكثر من سنتين · ونفس الشيء يخص مسرحية « التحرير » ومسرحية « ليالي نوفبر » · والشيء الشيق هو انه حتى المسرح التجريبي الذي يرأسه « بيجى جووتوفسكي » يربط مسرحياته بتقاليد المسرح الرومانسي البولندي ، مع بعض التغييرات طبعا في الرموز والايماء والحركات · وكذلك الحال مع مؤلف الموسيقى البولندي المعاصر المشهور « كشيشتوف بريندير يتسكي » ، والذي عند خلق موسيقاه الحديثة يعتمد على الموسيقى البولندية التقليدية ويضعها في قالب جديد من الموسيقى الالكترونية ، الا ان الموسيقى الشعبية البولندية يحس بها العازفون في موسيقاه بكل وضوح ·

بعد تفهم جميع هذه الظواهر يمكننا فقط ان نفهم الطريق الذي قطعته الفنون البولندية خاصة في السنوات الاخيرة اننا جزء من المجموعة الاشتراكية ، ومبادئنا معتمدة على الاسس والنظريات الاشتراكية ، وبالاعتماد على هذه الاسس مر ونجح الادب البولندي في تجارب وامتحانات الحياة ، ويفضل الجذور الرومانسية والواقعية البولندية فان الانتاج الادبي لكتابنا وادبائنا له شكل وروح وجو ثقافتنا القومية التي جذورها متاصلة عميقا في التيار التقدمي في تاريخ دولتنا ·

وهنا نود ان نقول بانه على ما ذكر تعتمد استمرارية الظواهر التاريخية واستمرارية التطور الثقافي تبعا لمتغيرات الايديولوجية التي تمت وتتم في اوساط شعبنا ، مع المحافظة في نفس الوقت على الجو المميز الذي يتصف به الخيال البولندي والنفسية البولندية · · · وهذا الوعي والادراك هو الفكرة الاساسية في جميع اعمالنا ، فنحن نسير قدما ودوما الى الامام ، ونعيش في عصر الثورة العلمية التكتيكية ، وبطريقة جديدة واسلوب حديث نحلل ونعلل العمليات الاقتصادية والاجتماعية ، ونقوم بتشكيل النموذج الاشتراكي البولندي الخاص لثقافتنا وفنوننا · اننا لا نتقبل الثقافات الغربية علينا اجتماعيا وسياسيا ، ولكننا في نفس الوقت لا ننكر ضرورة استيعاب ثقافتنا لكل ما هو تقدمي في الثقافات الاخرى · اننا لا نغلق اعيننا لنتجاهل بعض الظواهر المميزة للمدنيات التكتيكية ، ولكننا نأخذها بعين الاعتبار للتعرف على قوانين العالم الموضوعية ، ونجد فيها دائما المضمون والمحتوى الانساني ، ونلمس هناك عناصر الرومانسية للعصر الجديد ·

اننا ونحن نقوم بتنظيم وترتيب امورنا الداخلية وتحديث اقتصادنا وتقبل آخر احرازات التكنيك العالمي، نقوم في الوقت نفسه بوضع الخطط للمستقبل القريب ، رابطين بين تقاليدنا العريقة القديمة ورومانسية رؤيا المستقبل · ونحن لا ننكر ولا للحظة ان على المجتمع الاشتراكي ان يكون مجتمع رفاهية وكفاية ، ولكن نموذج الاستهلاك لدينا لايعني فقط المساكن والمباني او السيارات والثلاجات واجهزة التلفزيون الى غير ذلك ، بل وقبل كل شيء ـ التعليم الالزامي على المستوى الثانوي وسد الحاجات الثقافية للمجتمع على خير وجه · · ·

واذا كانت الحياة لا تتطابق احيانا مع ما نصبو اليه ونريد تنفيذه ، واذا كان لدينا بعض الناس غير السعداء وغير الراغبين ، او من الذين ينقصهم الحب او المرح والسرور ، او الذين لم يتمكنوا من تحقيق مطامحهم كاملة · · · فذلك بالتاكيد هو ليس ذنب الاشتراكية ولا ذنب الارضية الانسانية الواقعية لقوانين تصرفاتنا ، اذ السبب في ذلك راجع الى تعقد مادة الحياة بذاتها ، والى التناقضات التي تبقى غير محلولة في التصرفات الاجتماعية والاقتصادية ، وحتى ان ذلك راجع في بعض الاحيان الى

التركيب البيولوجي الجسمي لكل فرد من المجتمع ... وينبغي على هذه الحقائق الا تكون سببا لليأس ، بل دافعا للعمل والجد لمعرفة الحياة على جميع الصعاب التي تواجهنا • وهنا نود ان نذكر مثلا يقتدى به ، فالعالم البولندي « انتوني كيبينسكي » وهو على فراش الموت الف أعظم كتبه ، وخطوة بعد خطوة سبر اسرار علم النفس وبيولوجيا العالميين في هذا الميدان •

ان احرازات الفكر الاشتراكي البولندي بعد المؤتمر السادس لحزب العمال البولندي الموحد ـ وفي مجال السياسة الثقافية المفتوحة ايضا ـ تمكنا أكثر من أي وقت مضى من الجمع الخلاق بين الواقعية والرومانسية في ثقافتنا القومية • وبفضل ذلك نتمكن اليوم من الاستفادة بسهولة من قوة وسائل التعبير التي تخدم على أحسن وجه مساعينا وتطلعاتنا ، ومساعي وتطلعات وخيال شعبنا البولندي • ونحن لا نشك في أن وحدة الايديولوجية ـ ـ الفكرة ـ والشكل في عصر الاشتراكية الجديد سيؤدي الى نوعية جديدة ناجمة عن ايحاء العالم المعاصر ، ولكن هذه النوعية الجديدة سوف لن تكون غريبة او دخيلة على التقاليد البولندية القومية ، التقاليد التي كانت الرومانسية دائما احدى عناصرها الاساسية ، لكن في اشكال جديدة اعلى •

علاقات بولندا الثقافية مع ١٠٠ بلد

يمكننا القول بلا مبالغة انه لا يمر يوم من أيام السنة لا نشهد فيه حقيقة جديدة تتوطد من خلالها العلاقات الثقافية البولندية مع الخارج • وهذا يخص سواء عرض الاحرازات الثقافية البولندية في الخارج ، وتمكين الشعب البولندي من التعرف على قيم الانتاج الادبي والثقافي والفني للشعوب والبلدان الاخرى • واذا نحن أكدنا ان العلاقات والاتصالات الثقافية البولندية مع الخارج لم يسبقلها أن وصلت مثل هذا العلو والاتساع والعمق في أي وقت مضى فسوف لن يكون هذا التأكيد مبالغة منا ابدا ، فهي حقيقة واقعية ملموسة •

ان الدولة البولندية وهي تعقد وتوسع العلاقات الثقافية مع الخارج تسترشد بنفس المبادىء التي تحدد سياستها ونشاطاتها على الصعيد العالمي والمستوى الدولي .. فبولندا تعتبر هذا التعاون الثقافي عنصرا هاما من عناصر سياسة التعايش السلمي التي تنتهجها الحكومة البولندية ، التعايش السلمي بين الدول بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية وبولندا تعتبر ذلك ايضا مساهمة في عملية التقارب بين الدول والشعوب في مختلف ارجاء المعمورة •

ان مساهمة بولندا النشيطة في التبادل الثقافي العالمي هي ليست فقط فرصة سانحة تقوم بولندا من خلالها على تعريف العالم وشعوبه على احرازات المبدعين والادباء والفنانين البولنديين ، ولا هي محض اغناء الثقافة البولندية بأقيم وأشيق مظاهر الثقافة العالمية ، فهذه المساهمة في التبادل الثقافي العالمي هي ايضا مواجهة احرازاتنا مع احرازات الشعوب والبلدان الاخرى • وهذا هو السبب في أن قضايا التعاون الثقافي مع الخارج ليست هي فقط موضوع اهتمام وزارة الثقافة والفنون البولندية دون غيرها • فلقد كرس اهتمام كبير لجميع هذه المسائل خلال المؤتمر السادس لحزب العمال البولندي الموحد ، وبرزت بوضوح في القرارات التي اتخذها المؤتمر المذكور ، والتي حددت الأهداف الاساسية للتعاون الثقافي مع الخارج • وتنص القرارات على ان الأسس الرئيسية والأهداف الأساسية في ذلك هي توسيع واغناء وتعميق الاتصالات الثقافية مع البلدان الاشتراكية التي تعد احرازاتها وانجازاتها الثقافية اقرب شيء الينا • ولكن هذا لا يعني اننا نقتصر في علاقاتنا واتصالاتنا الثقافية على البلدان الاشتراكية ، كلا ، فلبولندا شركاء كثيرون في مجال الثقافة بين البلدان الغربية

ـ الرأسمالية ـ ، والبلدان النامية التي يتطور التعاون الثقافي البولندي معها اكثر فأكثر من عام الى آخر ٠ وبالطبع نحن في تعاوننا الثقافي مع الدول الغربية نطرح جانبا جميع الظواهر او المضامين التي تتنافى مع أفكار الاشتراكية والتربية الاجتماعية الاشتراكية ، ونأخذ منها فقط القيم التقدمية والانسانية والعناصر السلمية التي لا تضر بشعبنا ٠

والمطلع على توسع التبادل والعلاقات الثقافية البولندية مع الخارج يلاحظ بوضوح ميزتين يتصف بهما هذا التعاون : الاولى هي ان هذا التبادل الثقافي توسع في السنوات الاخيرة جغرافيا بشكل ملموس محسوس ٠ وهنا يكفي ان نذكر ان لبولندا اتفاقيات ثقافية معقودة رسميا مع ٤٢ بلدا في جميع القارات ، بينما قبل الحرب العالمية الثانية كانت تربط بولندا اتفاقيات ثقافية مع تسعة بلدان اوروبية فقط ٠ وبالطبع فالتعاون الثقافي لا يجري فقط في اطار الاتفاقيات الثقافية الرسمية ، فبولندا لها اتصالات وعلاقات ثقافية اليوم مع حوالي ١٠٠ بلد في جميع انحاء العالم ٠ ومركز بولندا في الحياة الثقافية العالمية اليوم يظهر بوضوح في شتى مجالات الثقافة ، وفي النتائج التي يحصل عليها المبدعون والفنانون البولنديون على المستوى والصعيد العالمي ٠ وهذه الاجرازات الكبيرة هي في مجال الافلام قبل كل شيء ، مع العلم ان الفلم البولندي لم يكن له اية مكانة تذكر قبل سنوات في التبادل الثقافي البولندي مع الخارج ٠ واما اليوم فهو يحتل المكان الاول في هذا التبادل ٠ ثم تأتي الموسيقى البولندية المعاصرة التي هي ايضا اصبحت في الطليعة العالمية ٠ بالاضافة الى ذلك يقدر العالم حق القدر المسرح البولندي ، والفن التشكيلي والغرافيك والتصوير وغيرها من الفنون ٠٠٠ وهنا نود ان نذكر بعض الارقام والاحصائيات ٠ في فترة ما بعد الحرب وصلت الكتب البولندية الى ٣٩ بلدا حيث ترجمت الى لغات هذه البلدان ، والقارىء البولندي يجد بين يديه كميات كبيرة من الكتب تنحدر من ٥٦ بلدا ٠ وهنا نود ان نضيف ان الكتب العربية المترجمة الى البولندية ابتدأت تدخل المكتبات البولندية في الفترة الاخيرة ٠ واما الفلم البولندي فيشاهده الجمهور في ٦٩ بلدا اليوم ، والمسرح البولندي عرض مسرحياته لغاية الآن في ٣٩ بلدا ٠ والفرق الموسيقية البولندية على انواعها زارت ٦٥ بلدا ، في حين زارت بلادنا فرق موسيقية وغنائية من ٥٥ بلدا ٠

والانتاج الثقافي والفني البولندي يساهم كل عام في عدد لا بأس به من المهرجانات العالمية في مهرجانات الافلام والموسيقى والفنون التشكيلية ، وهو يحصل على تقدير عال وجوائز كثيرة كل سنة ٠ وبولندا تنشط اليوم ضمن ٧٩ منظمة دولية لرجال الفن على أشكاله وانواعه ٠ وبولندا تنظم لديها كل عام عددا من الفعاليات الثقافية والفنية الدولية ، كالمهرجانات والمسابقات بالاضافة الى الندوات والمؤتمرات وما شابهها ٠ وكل ذلك يشهد بوضوح على مركز بولندا المرموق في عالم الفن والثقافة ، وعلى اتساع تعاونها وعلاقاتها الثقافية مع الخارج ٠

أهمية الرسائل الأدبية

بقلم : ناجي جواد

ان ادب الرسائل من أقدم الفنون الادبية عرفه الناس منذ تعلموا الكتابة ، وتجشموا متاعب السفر ، واحتاجوا الى التخاطب من مسافات بعيدة ثم اخذ الادباء يتأنقون في كتابتها حتى جاءت اثارا ادبية رائعة ماتعة ٠

فقد كان للرسائل في الادب العربي فن خاص تعرف به ، ففي صدر الاسلام تجلت نصائح الامام علي لابنه الحسن في الحكم والمواعظ ، وكتابه الى (مالك الاشتر) لما ولاه على مصر واعمالها خير نماذج لادب الرسائل في ذلك العهد ، وجاءت الرسائل على لسان الشاعر المترف (عمر بن ابي ربيعة) اذ هو أول من انتهج اسلوب الرسائل في ادبنا العربي ، ثم تبعه العباسيون بعد ذلك ، ولما انفتحت الثقافة العربية ـ في العصر العباسي الاول ـ على ثقافات الامم المتمدنة ، كاليونانية والرومانية ، والهندية ، والفارسية ، وتطعمت بعلومها وفنونها ، عندها اضحى الخاصة والعامة يتفننون بكتابة الرسائل، وتبارى الشعراء بنظمها (كأبي نواس) وبشار بن برد) ٠

ولما جاء العصر المملوكي ، ازدهر فن الرسائل وتنوعت اساليبه ، وتعددت اغراضه ، عندها انشئت الدواوين الرسمية ، واصبح (لديوان الرسائل) شأن كبير منذ أيام ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب ، حتى طلع علينا (ديوان الانشاء) في مصر بكتاب (صبح الاعشى) ٠

وقد اضحت الرسائل في تاريخنا الحديث (موده) العصر ، وادب المترفين، وذلك لسهولة التعبير عن الذات، وما يتصارع في اعماقها من طموح ونزوات ، وما تنفعل به من هموم ومسرات ، فالرسالة هي وجدان الاديب وصورة نفسه بكل ملامحها وظلالها ويصح القول هنا (الاسلوب هو الرجل) ٠

علما بان ما يسجله ادب الرسائل من احداث واحاديث ، قد يكون لها في المستقبل اهمية تاريخية يعول عليها في استقراء الاوضاع الاجتماعية واستقصاء الاحوال السياسية ، اذ كثيرا ما يصف الكاتب حالة عصره ونفسه، وأخبار مجتمعه واصدقائه ٠

وفي ادبنا الحديث اشتهر في كتابة الرسائل الاديب الكبير مصطفى لطفي المنفلوطي ، وامين الريحاني ، الدكتور أحمد أمين ، الشاعر العبقري ابو القاسم الشابي الموجه الى صديقه الاديب التونسي محمد الحليوي، ورسائل مي زياده التي تبودلت مع جبران ولطفي السيد ويعقوب صروف ومصطفى صادق الرافعي وعباس محمود العقاد ، فالهمته قصة (ساره) كما أوحت للادباء الوانا من فنونهم وافكارهم ، واضحت اثرا ادبيا خالدا لانها انطوت على ثروة كبيرة وضحت تراثا ادبيا نفسيا ٠

وعند اشراقة جيلنا الادبي المزدهر طالعتنا رسائل (الاستاذ ذو النون ايوب) ثم رسائل الدكتور فاضل الجمالي و (مائة رسالة) لشاعرنا الالمعي نزار قباني ، ورسائل البدوي الملثم الى ولده ورسائل الدكتوره نعمات احمد فؤاد الى ابنتها ورسائل الدكتور مصطفى جوار الموجهة الى تلميذه وصديقه الاديب وحيد الدين ،

ولا يفوتني ان اذكر بمداد من الفخر (مجلة الاديب) البيروتية التي اضحت منبرا حرا لنشر رسائل مشاهير الادباء ، وسارت (مجلة الضاد) الحلبية على نهجها السليم ٠

ومن مشاهير كتاب الغرب في هذا الفن (مدام دي سفينه) في رسائلها لابنتها التي تزوجت وعاشت في الاقاليم البعيدة ، وعند نشرها اصبحت جزءا من التراث الادبي الفرنسي ، وقد اشتهر اللورد شستر فيلد الانكليزي برسائله التي بعث بها الى ولده ، كما تبودلت الرسائل بين روسو وفولتير وللاسف امست سببا للقطيعة بينهما ، ورسائل فكتور هيكو وبلزاك وجورج صاند ورمان رولان ورسائل فان كوخ الى اخيه وقد ظهرت في ثلاث مجلدات ، أما الرسائل التي تبودلت بين كوتيه وشيلر فقد سجلت احداثا تاريخية وادبية ذات اثر كبير ، كما كانت رسائل نهرو التي بعث بها من السجن الى ابنته انديرا غاندي على جانب كبير من الاهمية وكان لرسائل تشيخوف التي بعث بها الى غوركي الفضل الاكبر في توجيه صديقه لبناء القصة ٠

ومن ميزة ادب الرسائل انه يرينا الاديب منطلقا على سجيته فيما يعبر برسائله عن حالاته النفسية في قوته وضعفه في صبره ويأسه ايمانه وقلقه نزواته وشهواته ٠



ديوان « أمواج »

للشاعر عبد الرحيم الحصني

منشورات وزارة الثقافة والارشادالقومي دمشق ـ ١٩٧٤

بقلم : خليل الهنداوي

باقة شعر اختارها الشاعر من معطياته ، وأطلق عليها اسم « أمواج » باعتبار أن كل موجة تنفتح عن قصيدة ٠

و « أمواج » هو الديوان الاول لهذا الشاعر ٠ قدم لي الشاعر ديوانه ، يوم عادني في المستشفى ، فأكبرت منه هذه الهدية خلال تلك المحنة ، ورحت أقرأ بعيني ، وقلبي ، مستمتعا بهذا الشعر العذب ، في اجازتي المرضية ، ثم عاودت القراءة بعد ابلالي ، فلم يزدني الا لذة واستمتاعا بها ٠

أكثر هذه القصائد يستوحيها الشاعر من مناسبات قومية ، ومعاناة ذاتية ٠ ثم يسلكها على الشعر العمودي ، بأسلوب فيه رونق الاسلوب القديم ، ورواؤه ، وجزالته ٠٠ تتهاوى منه أنفاس البحتري المتأنق في الفاظه وأسلوبه كل هذا ينقم عليه أصحاب المدرسة الشعرية الحديثة ، الذين لا يؤمنون بالمناسبات الواقعية ، وانما يؤمنون بالمناسبات « النفسية » النابعة من الاغوار ، كما لايؤمنون بالاساليب القديمة لانها ـ عندهم ـ مبتذلة بحكم تعبيرها المباشر ، وادائها المكشوف ٠ كما انهم لا يرتاحون الى الوزن العمودي ، لأن موسيقاه ـ في نظرهم ـ رتيبة مكررة !

وقد آن لنا نتوسع في هذا الجانب بمناسبة صدور هذا الديوان الجديد ٠ انني واحد من الذين يؤمنون بالتطور في كل شيء لان التطور سنة الحياة في كل شيء ٠

ومن يتأمل في تيارات الشعر العربي يجده قد خضع لسنة التطور في كل مدار من مداراته،وفي كل مسيرة من مسيراته ، ولكن هذا التطور لم يخرج عن تناول الصورة ورسمها ٠ وهو ـ في انتقاء الاسلوب المعبر ـ لم ينأ عن الطريق السوي الذي يجعل كل ما يكتب من نثر ، وينظم من شعر ٠ انما غايته الوصول الى فهم ما يكتب وينظم ٠

اعترض اعرابي أبا تمام الشاعر ـ وأبو تمام قمة في الابداع ـ وقال له ، بعد أن سمع مطلع قصيدته :

« طلل الجميع لقد عفوت حميدا »

ان كان هذا شعرا فمعنى ذلك ان كل ما نظمه العرب من قبل ليس بشعر كذلك الامر ، حين نقرأ شعر أصحاب المدرسة الحديثة ، الذين غرقوا في الابهام ، والغموض ، فان كان شعرهم هو الشعر ، فما اضيع ما ترك الشعراء الاوائل ٠

اننا ، اليوم ، ندور في دوامة من الابهام لا يستطيع صاحب الشعر نفسه ان يفسر ما يريد ، واذا سألته عما يريد ، اعتذر بأنه هو نفسه لا يعرف ماذا يريد ؟ ٠

فهل لهذا نكتب وننظم ؟

وهل الاختلاف ـ اختلاف الشعراء انفسهم ـ في تفسير ما يقرءون وما يسمعون ـ أصبح المثل الاعلى للشاعر ؟

اللهم ، ان البيان ، ليبرأ من هذا الهذيان ٠

• • •

هناك « الحوافز الوطنية » تستنزف القسم الاكبر من حجم الديوان ومأساة النكبة تشغل الحيز الارجح

من هذا القسم ، فالشاعر مهما ذهب وأوغل في صور الطبيعة ، يرتد فجأة الى هذه الحوافز العاصفة التي تحفر في الاعماق ٠

ومن هنا ، نرى كلمة أهدائه الصغير ، تفسر لنا كل ما يهز الشاعر من مشاعر ٠

● ● ●

« انه يتطلع الى الحياة بكل ما فيها من آلام وآمال ٠ ويشرف على الانسان بكل ما فيه من عوالم ٠ ويرنو الى أمته التي تحيا سفر خلودها رغم كل التحديات التي تقف أمامها ٠ ويهدي شعره الى كل موقف نبيل ، والى كل ابتسامة حب ، وخفقة قلب » ٠

وقد يكون للقصيدة عنوان واحد ، لكن مضمونها يتوزع موضوعات متعددة يدعو بعضها بعضا بصورة عفوية ٠

والشعر الحقيقي الوجداني ليس له ضابط يشده الى ناحية واحدة فمثلا ، في قصيدته الاولى « عيد الجلاء » يبدأ بالتبرؤ من أن تكون الكأس والوتر مورد الهامه ، لأن الشعر ــ عنده رسالة خاصة ، يفهمها ويحاول الكشف عنها « فالشعر من سدرة المنتهى مرتبعه ، ومن خمائل وحي الله منتشرة ، والشعر قرينة الحب ، وكلاهما ، في فؤاده، ثائر ، ضجر ٠ وحين يسأل الشاعر القدر :

« ماذا فعلت بأهل الشعر يا قدر ؟ »

تطلع عليه صور لا أروع ولا أبدع ، تمثل ايمان الشاعر بحقيقة الشعر الذي يراه أسمى ما يرى في هذا الوجود ٠ ومن ذلك قوله :

لنا الهداية ، دون الناس ، ننشرها
ومن معابدنا الآيات والسور
ما في المجامر ، الا عودنا ، عبق
وفي الخمائل ، الا وردنا ، عطر
نبادل الناس احساننا اساءتهم
ونغمر الذنب تحنانا ، ونغتفر
ونملأ الكون أطيابا ومعرفة
فمن صبابتنا النعماء والعبر
نحن الذين كسانا الله حكمته
وبات أجهلنا بالشهب يأتزر

والشاعر ــ في هذه المقطوعة ــ صريح التعريض بأهل « الجديد » الذين شوهوا صورة الشاعر ، ومسخوا رسالته ، وهو يدعو تجديدهم « بالضوضاء المنمقة » ٠

على الهوامش ضوضاء منمقة
باسم « الجديد » قلاها السمع والبصر

والشاعر في مقطوعته الثانية « القدس » ذات النواقيس الحزينة ، والمآذن المعذبة ، نراه يخرج عن انسانيته ، ويكفر بكل لغة عالمية ، الا لغة الدم والنار ٠ وهل للدم الا الدم ؟ ٠ وهل للنار الا النار ؟

وهو ــ هنا ــ يتناول الصور البائسة ، القائمة ، فيعبر عنها ببساطة ووضوح ، كتعبير هذه الصور عن نفسها ببساطة ووضوح ٠

وقد تتناقض الصورتان ، حين تجمع بينهما المقارنة ٠٠٠ ومن ذلك قوله :

عفو الجباه التي ذاب النهار بها
بعد الحرير الموشى ، تسكن الخيما !
كان الرفاه ظليلا في ملاعبها
والحسن مؤتلقاً والحب مبتسما

ولكن ألا يرى الشاعر معي ان هذا «الحرير الموشى» هو الذي أوصل هذه الجباه الى أن تتوشى بالتراب ٠

والقصيدة الثالثة « تحية لأبطال تشرين » ولعلها أحدث قصيدة جاءت في الديوان ، ورائع مطلع هذه القصيدة ، حين جعل غاية هذه الحرب اعادة الكرامة الى هذا الوجه الذي لبث حزينا ، غائما ، أعواما طويلة :

أعد لأمتك الوجه الذي احتجبا
يا فارساً زحمت أمجاده الشهبا
يا سارياً ، ودخان الهول يلبسه
حمر السجوف برودا تنثر اللهبا

خـذ مــــن عيوني في مسراك مقتبسا
فقد وهبت لقلبي النــــور والطــربا

ألا ما أروع هذا النور الذي يقدمه الشاعر مـن عينيه ، لمن وهب قلبه النور ! انها لصورة تتحرك لهـــا الضمائـــر !

ولعل أجمل عبرة ، في هذه القصيدة ، عودة الشاعر الى ايمانه بأن الحق لن يغرب ، وان ظلام العار لن يدوم ٠

تشرين حطم جدار الصمت ، وأرو لنا
من الملاحم فصــلا يسكر الحقبــا
كيف النسور على أطوادهـــم عبروا
مسرى النجوم • وكيف استصغروا السحبا
اني لأهزأ بالطاغـي تحدثـــه ٠٠٠
هواجس الوهم ان الحق قــد غربـا
لا لن يدوم ظلام العـــار يا وطنـي
فخلف كــل جـدار ثائر وثبــا

وكعادته ، لا ينسى الشاعر أن يعود الى نفسه ٠٠ لأن كل شيء يستلهمه من أحاسيس نفسه ٠ « أنا الذي حمل الآلام أجمعها » ٠

ولكنه لا يلبث ان يستغفر الله على اسرافه في شجنه ، لأن من حق الشعر ـ بعد ذلك اليوم ـ ان ينساب مبتسما !

وما أكثر ما يتحدث الشاعر عــن رسالة الشعر المهملة ، ومملكة الشعراء المنبوذين ! وهي نغمة قديمة طالما علل الشعراء بها أنفسهم عن جهل الناس بهـم ٠ وانصراف الدنيا عنهم ٠

نحـن ارتعاشـة أوتــار تنمنمهـــا
قيثارة الله وحيــا ، والزمان صــدى
نهدي سعادتنا الدنيــا ـ وان عصفت
ريـح الشقاء بنا ـ لا نحسد السعدا

ولكن حين يدرك ما وهبته الحياة من « ارتعاشات الأوتار » يدرك حقا أنه في نعيم، يختلف عن نعيم الناس ٠ وفي سعادة لا تشبهها سعادة الناس ، والسعادة أشياء نسبية في معطيات الحياة ٠

ماضــيَّ الف نعيـم في جوانحـه
فكيف ينكر نعمى الله من وجــدا ؟

وقد لمحت ان للشاعر شغفا بجزالة الألفاظ التي ينتقيها ويؤثرها ـ على تكلف ـ أحيانا ٠ ولعل السبب في ذلك ان أكثر ما نظمه الشاعر قد ألقاه على المنابر ، وشعر المنابر ينفرد بموسيقا فخمة خاصة ، لينسجم مع المسامع والحناجر ٠ وهذه الجزالة قد توقع الشاعر أحيانا في صور نابية ، كقوله في معرض الغزل :

« رويدك ! سيف الشعر ، يا هند مانبا ! »

وهل يكون للغزل سيف ؟

وقوله أيضا « لا مهر البيان » ،

انها صور تعتمد على بهرة اللفظ أكثر مما تعتمد على بهرة الروح ٠ ولا أدري كيف وقع اختيار الشاعر على هذه الكلمة المهزوزة «مزهوهر اللب» وما كان أثقلها على اللسان لتقارب حروفها ! ومن جيدة المبتكر قوله :

ذريني أصب الشعر من مهجتي دمـاً
فقــد آن أن يعطـــى الشراب ليشربا

وما ذلك الا لأن المعنى البسيط ، الظاهر ، حين يلبسه الشاعر صورة مؤتلقة ينبض بصورة مبتكرة من الصور الخالدة ٠

وفي الديوان رسالة من أم لولدها الفدائي ، أبدع الشاعر في تصوير هذه الأم ، ووصف لواعجها وقلقهـا على ابنها ، وفي الوقت نفسه ، تدرك ان الحياة التـي تقدمها لوطنها هي الحياة عينها• يالها من ام وهي تقول :

وأقتات مــن همي وأشرب أدمعـي
وأحمــل عبء الثاكـلات وأصبـر
كـأنـي دون العالمــين وحيـــدة
تروح وتغـدو في الهمـوم ، وتسهر

وبعد هذا الوصف تروي لابنها الحكايـة كلها ، وقصة شعب في العراء يبعثر ٠

وما أروع ايمان هذه الأم بالمستقبل الذي ينضره الأبناء للابناء !

غداً ينجلي الليل الطويل ، وينقضي
وتشرق شمس الساهريــن ، وتسفر

وتلك هي قصة الطيار « غزوان » أحد أبطـال حزيران ٠٠ وهي قصيدة طويلة ، تمثل انطلاقة الفرد الى أمته ٠٠ واذا انتهت وثبات هؤلاء الأبطال الى عشرات ٠٠

فان العشرات تحمل في طياتها التفاؤل بالمستقبل ٠

ويعجبني – في الشاعر – هذه الروح التفاؤلية التي تبقى على سطوعها ، حتى في ظلمة اليأس العميق ٠

ستشرق الشمس – ما طال الظلام على
ربوعنا ٠ ويعود الفجر ندیانا

لا ٠ لا وربي ! لن يندى
الفجر الا بالدماء !

وللشاعر مقطعات يستلهمها من حوادث التاريخ ، ويجعل منها عبرا ودروسا للحاضر ومن ذلك توبيخه لأبي فراس – الشاعر الأمير – حين غلب على نفسه حب الحكم – وحب الحكم آفة من آفات العرب ٠

يا قاتل الله حب الحكم ، كم فتكت
رياحه الهوج في دنيا تآخينا

واذا كان الشاعر يجعل للسيف مهمة تحقيق المجد ، وأولى بالسيف – ان قصر عنها – ان يستكين محطما ، فليست هذه المهمة تشغله عن « نشر أريج المحبة ، وسحابة السلام » ٠

فانشر أريجك للمحبة نفحة
عبر الأثير وللسلام سحابا

وفي مقطوعة « للرسام » يرثي للفن المضيع في الشرق وفي الوقت نفسه ، يحث الفنان على ان يحذر لفحة السأم ، ولا بأس بالألم ، يحمله في سبيل رسالة ، لأن الفنانين خلقوا بالألم ، وللألم :

عفواً ! أخا الفن ! هذا الشرق مضيعة
للعبقرية ، فاحذر لفحة السأم

لا يمنعك طيب الجود ما فعلت
كف الشقاء ، خلقنا نحن للألم

ولعل أروع بيت – في هذا الديوان – عندي بيت لم أجد له مثيلا في شعرنا يمثل انسانية الشاعر الذي يذوب محنة وتحنانا

يعربد السهم في قلبي ، ويؤلمني
أني أموت ٠٠ ولم ألثم يد الرامي

انه بيت بقصيدة ، وقصيدة بديوان ! لا يجود به الا هؤلاء الشعراء المغفلون على موانيء الكون ٠

ياضيعة الشعراء المغفلين على
موانيء الكون ، كم أعطوا من السور

تذوب أكبادهم هدياً وعاطفة
والناس عن جودهم في غفلة البطر

وللشاعر مقطوعة رقيقة في ابنته « روعة » بدأها :

لونت حبك من عطفي وتحناني
يا روعة غمرت بالسعد أشجاني

مقطوعة يخفق فيها قلب والد ، كما يهتز فيها لحن رنيم للشاعر !

ومقطوعة أخرى يناجي بها روح صديقه الشاعر « وصفي قرنفلي » أجاد فيها المزج بين عاطفته وبين تصويره لروح الشاعر المناضل :

ما بعت شعرك في سوق النفاق ، ولا
ساومت اذ ساوم الجهال واتجروا

ليت الذين دعوهم بالكبار رأوا
كيف الكبار على أعتابهم صغروا

وهو في هذه المناسبة يكرر حملته على أدعياء الشعر الذين لا خلاق لهم :

يا ساكب الشعر من مكنون مهجته
عدت على الشعر في أيامنا الغير

من كل مستأجر ، باغ يكاد على
جبينه ينطق البهتان والأشر

ولوا على الضاد غلمانا ، وما علموا
أي الأواصر من أمجادهم بتروا

والشاعر في معرض الغزل – رقيق ، ولعل أقسى غزله قصيدة « غادرة » طلعت عليه يوم أطلت ، فتنة بجمالها ودلالها ، ثم لم تلبث أن أمست خدعة ، لا سراباً ! وصفحة تخجل الوفاء ٠

ولكن ٠٠٠

هكذا الحب والزمان . فقلت
مستريح ، والف قلب معذب

وتلك هي قصة الحب في كل زمان ومكان !

هذه قبسة من نار ، لا تغني عن حقيقة النار ، ورشفة من ماء الحياة ، لا تغني عن الحج الى الينبوع ٠

ويكفي الشاعر عزاء وسلواناً أنه استطاع ان يقطف الأزهار التي انتثرت على دربه ، ولا ضير عليه أن يفوته الثمر ، والزهرة فيها سر الثمرة ، والخمر تنوء بأثقال الكرمة ، والموجة تحمل صدر البحر الكله ٠

رياض شعري أغوتني ، فهمت على
قطف الأزاهر ٠٠ لكن فاتني الثمر

واني أؤكد للشاعر أن الثمر بين يديه ٠٠ فالى ثمر آخر في ديوان جديد ٠

حلب : خليل الهنداوي

حول الدور الجديد للبلدان النامية في نظام العلاقات الاقتصادية الدولية

بقلم : فولكوف

نشهد ، الاونة الاخيرة ، النهوض العارم الذي طرأ على نضال الشعوب المتحررة المعادي للامبريالية من أجل نيل استقلالها الاقتصادي وترسيخه •

ويتمثل احد اهم اتجاهات هذا النضال في الحركة الرامية الى تصفية الطبيعة غير العادلة للعلاقات الاقتصادية الدولية في النظام الرأسمالي العالمي للاقتصاد ، وتنظيم ميكانيزم جديد للصلات الاقتصادية الدولية يقوم على مبادىء المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والنفع المتبادل •

دشن النضال من اجل ذلك مرحلة جديدة • والسمة المميزة لهذه المرحلة هي ان الدول الامبريالية غير قادرة على الحفاظ على صلاتها الاقتصادية مع البلدان النامية بشكلها الحالي ، في ظل الازمة الحادة التي تطبق على خناق النظام الرأسمالي العالمي ، وفي ظل تغير ميزان القوى على المسرح الدولي لصالح قوى السلام والتقدم •

وتسبب عن اشتداد النضال حدوث تغيرات هامة في ميدان العلاقات الاقتصادية الدولية ، وبالدرجة الرئيسية ، نحو التصاعد الحاد للدور الذي تلعبه الاقطار النامية في نظام الصلات الاقتصادية بين الدول ، الخاص بالرأسمالية العالمية • ويؤكد لنا سير الاحداث انه من المنتظر ازدياد ترسخ مواقع البلدان النامية على المسرح الدولي خلال السنوات الاخيرة •

ان لتحرك البلدان النامية الهادف الى تصفية الوضع غير العادل الذي تعاني منه تاريخا معينا، يجدر التذكير ببعض مراحله الاساسية باقتضاب •

كانت الخطوة الكبرى هي النهوض العاصف الذي شهدته حركة التحرر الوطني خلال الخمسينات ومطلع الستينات ، والذي تمخض عن نشوء مجموعة كبيرة من الدول المستقلة الفتية ، واستدعى التطويح بالنظام الاستعماري للامبريالية وتصفية علاقات الاضطهاد الكولونيالي ، اقامة صلات جديدة بين البلدان الامبريالية والبلدان المتحررة •

وكان في نتيجة نيل المستعمرات السابقة لاستقلالها الوطني ، ان تزعزعت بشكل ملحوظ المواقع الاقتصادية التي تحتلها الامبريالية داخل البلدان المتحررة • ولم تكن السياسة الاقتصادية التي تنتهجها الدول الفتية ذات طبيعة واحدة • كانت اتجاهاتها وطرائق تطبيقها تتحدد وفقا لتناسب القوى الطبقية والسياسية في هذا البلد او ذاك ، ووفقا لاتجاه التطور الاجتماعي الذي يختاره النظام القائم• الا ان سياسة العديد من البلدان النامية ، تتميز ببعض النواحي كتشديد الرقابة على نشاط رأس المال الاجنبي في البلاد ، وتحديد مجالات توظيفه والسعي لرفع فاعلية العلاقات الاقتصادية الخارجية لغرض اسراع تنمية البلاد الاقتصادية والاجتماعية •

واضطرت الدول الامبريالية على التكيف للظروف الجديدة ، فاقامت نظام علاقات مع الدول النامية يشمل كافة جوانب العلاقات بين الدول • والاقتصاد بالدرجة الاولى • ويهدف هذا النظام ـ الاستعمار الجديد ـ الى مواصلة استغلال البلدان النامية في الظروف الجديدة • والهدف الاستراتيجي للاستعمار الجديد هو ابقاء البلدان النامية في فلك النظام الراسمالي •

وتتسم سنوات الستينات بالتصاعد التدريجي لنضال الاقطار النامية في سبيل التحرر من ربقة الاستغلال الاستعماري الجديد • فبالنظر لانعدام التنسيق في العمل لم تتمكن الدول الوطنية الفتية من احراز اية نجاحات

ملحوظة في نضالها هذا ضد خصم يمتلك خبرة واسعة في الاستغلال ، وقدرات اقتصادية كبيرة ، خصم متلاحم من حيث التنظيم ، له حلفاء في العديد من الدول النامية •

حازت على المزيد من الرضى في البلدان النامية وجهة النظر القائلة ان النضال ضد الاستعمار الجديد ومن أجل ترسيخ استقلالها الاقتصادي ليس في مقدوره ان يثمر ، الا في حالة تلاحم قوى بلدان « العالم الثالث »، وانعكاس هذا التلاحم في تصرفاتها العمليــــة وتدعيمه باطراد • والشرط اللازم للنصر في هذا النضال هو ارتكاز الدول النامية على بلدان المنظومة الاشتراكية •

اتسمت سنوات الستينات ، بنجاحات كبرى شهدتها قضية تلاحم البلدان النامية في نضالها في سبيل التحرر من الامبريالية • وتجري هذه العملية على صعيدين : في اطار حركة عدم الانحياز وفي اطر المنظمات الاقليميــــة او المنظمات التي تضم منتجي (مصدري) هذا النوع او ذاك من السلع •

وتلعب الدور الخاص بين المنظمات الاخيرة ، منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبك) التي شكلت عام ١٩٦٠ لتضم المنتجين الاساسيين للنفط من بين مجموعة البلدان النامية • وبالتطرق لنشاط هذه المنظمة ، تجدر الاشارة الى ثلاث نواح ، هي ، اولا ، التوسع الدائم لتركيبها • فاذا كان عدد اعضائها في لحظة تأليفها هو ٥ بلدان فقط، فقد أصبحت تضم وفي مطلع ١٩٧٥ ـ ١٣ بلدا •

وفي نفس الوقت استمرت عملية التلاحم المستـــمر لبلدان الاوبك ، العملية التي تمثل السمة المميزة لتطور المنمظة • وقد اتاح هذا للبلدان المستخرجـــة للبترول خوض نضال مثمر ضد الكارتل النفطي من أجل التمتع بحقوقها في السيادة على ثـــرواتها النفطية • وجرى هذا النضال عن طريق فرض الرقابة على نشاط الشركـــات النفطية ، واعادة النظر في الاتفاقيات الجائرة ، وعـــن طريق زيادة اسعارها على النفط وعائداته •

وانبثقت في الاونة الاخيرة ناحية جديدة في عمـــل الاوبك ، نلمس من خلالها ان نشاط هذه المنظمة قـــد وصل الى مستوى اكثر سموا • وقد تجلى هذا في مـــؤتمر الاوبك الذي انعقد في اول عـــام ١٩٧٥ في الجزائر ، والذي شارك في عمله وزراء الخارجية والنفط والمالية للبلدان الاعضاء في المنظمة •

وتركز البحث فيه على المشــــاكل الاقتصـــادية والسياسية الدولية العامة ، والوضع في البلدان النامية • وجاء اجتماع قادة بلدان الاوبك ليعزز نشاط المنظمة •• من كل هذا اصبحت منظمة البلدان المصدرة للنفط قوة اقتصادية ــ سياسية جبارة في النضال ضد الامبريالية•

ويمكننا ان نجد المثال عـــلى توطد وحدة البلدان النامية على أساس اقليمي في علاقاتها مع السوق الاوربية المشتركة • فقد اجرت لجنة السوق الاوربية مع ٤٦ من الدول النامية في افريقيا وحوض البحر الكاريبي والمحيط الهادي بهدف صياغة اتفاقية من شأنها ان تنظم العلاقات الاقتصادية للبلدان المذكورة مع منظمة السوق الاوربية • وقد حلت هذه الاتفاقية محل الوثائق التي كانت تنظـــم علاقات البلدان الافريقية بالسوق المشتركة ، وهي تخلق اليوم اساسا قانونيا للعلاقات بين هذا التجمع الاقتصادي المغلق وبين البلدان النامية الداخلة في منطقة الجنيـــه الاسترليني •

وكان الامر المتميز في هذه المباحثات هـــو وقوف الدول النامية ككتلة متلاحمة ، بغض النظر عن الجهود المحمومة التي بذلتها البلدان الامبريالية لشق هـــــذه الوحدة •

واضطرت السوق الاوربية على السير في تقـــديم تنازلات جمركية معينة في استيراد سلع صناعية من البلدان النامية التي وقعت الاتفاقية دون تسهيـــلات جمركية مقابلة • هذا ، كما تم تقديم تنازلات جمركية في حالة توريد بعض السلع التي تسري عليها السياسة الزراعيـة

الموحدة للسوق المشتركة • وقد راعت الاتفاقية انشاء صندوق دائم للتعويض عن الاضرار الناجمة عن انخفاض اسعار بعض السلع التصديرية الهامة لدى البلدان النامية الى دون المستوى المرسوم • ووافقت بلدان السوق المشتركة على تقديم القروض للبلدان النامية الموقعة على الاتفاقية •

وتساعد حركة عدم الانحياز على تدعيم وضع البلدان النامية في النضال ضد الامبريالية • ويتلخص جوهر هذه العملية في تحول نشاط حركة عدم الانحياز بالتدرج من مجرد فضح طبيعة العدوان والابتزاز التي تطبع الامبريالية الى طرح المهام في النضال ضدها ووضع السبل الكفيلة بتحقيقها • كل هذا قد قوى تلاحم الدول النامية من أجل اثبات وجودها على الصعيدين السياسي والاقتصادي •

ان الدور الهام في هذا الصدد لعبه المؤتمر الرابع لرؤساء الدول غير المنحازة الذي انعقد في عام ١٩٧٣ في الجزائر ، حيث ساعد على توثيق الاتجاه المعادي للامبريالية والاستعمار في حركة عدم الانحياز • واتخذ المؤتمر برنامجا للاعمال المناهضة للامبريالية التي ترمي الى تغيير مجمل نظام العلاقات الاستغلالية في الاقتصاد الرأسمالي العالمي •

وقد مهد المؤتمر الرابع للبلدان غير المنحازة ، كثيرا لانعقاد الدورة السادسة الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة ، التي تناولت مشاكل الخامات والتنمية وحددت اتجاهها مسبقا • كانت هذه الدورة التي انعقدت فياوائل عام ١٩٧٤ حدثا كبيرا في عملية رفع دور البلدان النامية في نظام العلاقات الاقتصادية الدولية • ويرتدي البيان الصادر عن الدورة طابعا واضحا في عدائه للامبريالية • فقد تضمن المطالبة بنظام دولي جديد يقوم على اساس العدل والمساواة والسيادة والارتباط المتبادل ووحدة المصالح والتعاون بين الدول كافة •

ان طرح مشاكل موارد الخامات والتطور الاقتصادي لبلدان « العالم الثالث » للمناقشة الدولية الواسعة داخل الامم المتحدة ، يكشف عمق التحولات الجارية اليوم في عالمنا • ويعكس انعقاد الدورة الخاصة ، هذا التلاحم المتين لدول « العالم الثالث » في النضال ضد الامبريالية والاستعمار الجديد •

ويتجلى تنامي دور الدول النامية بنحو اوضح في مختلف مضامير العلاقات الدولية • وفي اعادة توزيع القدرة الاقتصادية والسياسية الى حد ما ـ بشكل ملموس بين البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا والبلدان النامية لصالح الاخيرة • وعلى صعيد العلاقات الاقتصادية الدولية، يعتبر تنامي نفوذ وثقل الدول النامية حقيقة معروفة • ففي عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ كانت حصة هذه الدول من اجمالي صادرات بلدان العالم غير الاشتراكي تربو على الخمس ، وفي خلال عامين ارتفعت الى ٢١٪ ، وفي العام المنصرم ، بلغت ٢٩٫٨٪ •

كان رفع نصيب الدول النامية من الحجم الاجمالي لصادرات البلدان غير الاشتراكية والنمو الحاد للرصيد الموجب لميزانية تجارتها الخارجية ، كانا نتيجة لارتفاع الاسعار الخارجية على بعض السلع المصدرة من بلدان « العالم الثالث » • لا يخفى على أحد النمو المتفاقم لاسعار النفط الذي لعب الدور الاساسي في رفع قيمة اجمالي الصادرات من البلدان النامية والرصيد الموجب لميزانية تجارتها الخارجية • واتسم العام المنصرم بارتفاع ملموس في أسعار جملة من سلع الخامات والمواد الغذائية المصدرة من البلدان النامية •

وفي مجرى عقد كامل من السنين كانت الاسعار التصديرية ، مثلا ، على الفوسفات المغربية تتراوح بحدود ١٢ ـ ١٣ دولارا للطن الواحد • وفي نهاية عام ١٩٧٣ اعلن المغرب رفعه لاسعار الفوسفات الى ٤٢ دولارا للطن • وحذت حذو المغرب كل من تونس والسنغال وتوغو وغيرها • وابتداء من ١ يوليو (تموز) عام ١٩٧٤ رفع المغرب اسعار الفوسفات مجددا الى النصف ، وفي ١ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٥ اعلن عن رفع جديد لاسعاره قامت بمثله الدول الاخرى المصدرة للفوسفات •

اضحى رفع اسعار الفوسفات ممكنا نتيجة تجاوز مقاومة المستهلكين ، واحتكارات البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا •

وبهذا الشكل ، ابتداء من عام ١٩٧٢ ، بقيت وتائر نمو اسعار الخامات اعلى من أسعار البضائع الجاهزة ، علما بان الفارق في الاسعار كان خلال السنتين الاخيرتين ملموسا جدا · وبديهي ان النفع الناجم عن النمو الكبير لاسعار الخامات يعود ايضا على شركات البلدان الرأسمالية التي تقوم بتصدير سلع المواد الاولية ، الا أن تناسب الوتائر هذا يتلاءم بالدرجة الاولى ومصالح البلدان النامية ·

يبرز بالطبع سؤال حول مدى ديمومة مارصد في الآونة الاخيرة من تناسب جديد في دينامية اسعار البضائع الخام والسلع الجاهزة · الاجابة على هذا السؤال يجب ان ترتكز على تقدير تناسب القوى بين البلدان النامية المنتجة للخامات وبين البلدان الامبريالية المستهلكة لها · كما وتؤثر على نمو اسعار الخامات تأثيرا كبيرا سياسة الاحتكارات الامبريالية التي تقوم باستخراج أو باستهلاك الخامات · وبهذا فالنمو المحسوس لارباح الاحتكارات النفطية في ظروف الرفع الحاد لاسعار النفط ، يتيح لنا أن نستنتج ان الاحتكارات لا تعارض في كل الاحوال رفع الاسعار على بضائع المواد الاولية ·

ويبدو أن البلدان النامية قد قامت باستغلال الجزء الاعظم من الامكانيات المتاحة لرفع مستوى اسعار الخامات فكثيرا ما نصادف اقوالا منسوبة الى الخبراء تفيد بأن اسعار نفط بلدان الاوبك سوف تبقى على مستواها الحالي لمدة طويلة · وسوف لا يكون لاحتمال رفع اسعار بعض الخامات الاخرى تأثير علي جدول الاسعار ، كالتأثير الذي نجم عن تغير اسعار البترول ·

وعلى صعيد اخر ، لا تألو حكومات الدول الامبريالية جهدا في سبيل تغيير نسب الاسعار في السوق الرأسمالية العالمية · فمجموعة الوسائل التي تستخدمها في صراعها هذا ، واسعة جدا ، ابتداء من الجهود المبذولة لتخفيض اسعار الخامات المستوردة ، الى التهديد باحتلال منابع الخامات ، والقيام بالاستعراضات العسكرية ، وحتى استخدام التضخم لرفع الاسعار على صادراتها من البضائع · الا ان الضغط على البلدان النامية لتخفيض أسعار خاماتها **لا يعطي في الظروف الراهنة نتائج مرجوة·**

ان الدور الاساسي في تغيير تناسب الاسعار يجب أن يلعبه رفع اسعار السلع التي تشتريها البلدان النامية ، وكذلك غلاء القروض والخدمات · فاذا مانمت الاسعار خلال عام ١٩٧١ بنسبة تربو على ٦ ٪ وفي ١٩٧٢ ـ ٨ ٪ فأن هذا النمو قد وصل عام ١٩٧٤ الى ٢٠ ٪ ·

ويمكننا ان نذكر من بين مسببات نمو اسعار التصدير على السلع الجاهزة ، التضخم السائد في العالم الرأسمالي وانحطاط قيم العديد من العملات التي تحدد بها اسعار التجارة الخارجية ·

في الآونة الاخيرة اخذت البلدان المتحررة الفتية تبحث بإصرار عن الوسائل التي تتيح لها درء استخدام الازمة المتفاقمة في النظام الرأسمالي العالمي لزعزعة مواقع البلدان النامية في تجارتها مع الدول الرأسمالية المتطورة صناعيا · وتقترح ، فرض اسعار مرنة على الخامات تتناسب وتائر زيادتها ووتائر نمو التضخم في العالم الرأسمالي · وسوف تطبق هذه الفكرة ، كما يبدو ، في ممارسات العلائق الاقتصادية الدولية ·

يتيح ما جاء اعلاه الافصاح عن الاحتمال القائل بأن التناسب الملحوظ في الآونة الاخيرة لدينامية اسعار الخامات والسلع الجاهزة عموما سيستمر فترة طويلة مع تغير مستمر محتمل لصالح السلع الجاهزة · كما يمكن التأكيد على أن نسب الاسعار سوف لا تعود الى مقاديرها التي كانت تتميز بها قبل رفعها بشكل ملحوظ ·

ان الصراع من أجل اقامة علائق تجارية متكافئة ومتبادلة النفع بين البلدان النامية والامبريالية لا يدور حول الاسعار فحسب ، بل حول جملة من القضايا الاخرى · ويمكننا ان نورد مثلا على ذلك المعلومات المتوفرة حول الدورة السادسة عشر للجنة الحقوقية الافرو ـ اسيوية التي عقدت في أول عام ١٩٧٥ في طهران ، والتي انجز خلالها اعداد مشاريع العقود النموذجية للتجارة الخارجية بما في ذلك العقود الخاصة ببيع جملة من الخامات · ويتيح سريان العقود النموذجية خفض نسبة الاضرار التي تبلغ ملايين الدولارات والتي تضطر البلدان الاسيوية والافريقية على تحملها عند تجهيز السلع بالشروط الحالية ، ويتيح كذلك ضمان وضع متكافىء لهذه الاقطار في تجارتها مع البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا · الا أن الاسعار هي مسرح الصراع الرئيسي ·

ان نمو اسعار النفط وغيره من الخامات ، وترسخ سيادة الدول النامية ازاء قضية استخدام الثروات الطبيعية

وتغير شروط الاتفاقيات مع الاحتكارات الاجنبية ، واخيرا، بعض النجاحات في تطور اقتصاد بلدان « العالم الثالث »،

كلها ادت الى اعادة توزيع احتياطي الذهب والعملة بين البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا والبلدان النامية لصالح الاخيرة ٠

اذا كانت حصة البلدان النامية من احتياطي الذهب والعملة تصل عام ١٩٧١ الى ٩ر١٧ ٪ فأن هذه الحصة قد ازدادت في ١٩٧٤ الى ٢ر٣٥ ٪ ٠

وهذا يكشف لنا التغير الجدي الذي شهده تناسب القوى بين الدول الامبريالية والنامية لصالح الاخيرة ٠

جرت تغيرات ملموسة الى حد كبير في مجال علاقات الاقراض القائمة بين البلدان الرأسمالية والبلدان النامية ٠ وقد املت الزيادة المحسوسة في رصيد العملة لدى البلدان المنتجة للبترول ، ظهور مبالغ كبيرة ومتنامية باطراد تعود الى البلدان المذكورة ، مودعة ، لدى بنوك البلدان الرأسمالية ٠

وتقوم بلدان الغرب الكبرى ، ومنظمات النقد والعملات الدولية بالبحث بدأب عن السبل الكفيلة بتنظيم تدفق الرساميل النقدية من البلدان النامية واستخدامها لضمان استقرار وتطور الاقتصاد الرأسمالي وبالاخص لتدعيم نظام النقد الرأسمالي ٠

ومن أجل تحقيق ذلك ، تستخدم طرق عدة ٠ هذه الطرق هي تجميع الاموال العائدة لاشخاص من البلدان النامية في ارصدة تودع لدى البنوك التجارية الكبرى في البلدان الرأسمالية ٠ استنادا الى ما يتوفر من التقديرات ٠

قدمت البنوك التجارية في اوربا الغربية واميركا الشمالية خلال ٨ اشهر من عام ١٩٧٤ قروضا بلغ مجموعها ٢٠ مليار دولار لبعض البلدان ، على حساب ودائع البلدان المنتجة للنفط الا أن الودائع القصيرة الامد أو الحسابات الجارية في البنوك التجارية ليستهي الطريق الافضل لاستثمار الموارد النقدية العائدة للدول النامية ، نظرا لظهور صعوبات جمة ، بالنسبة للبنوك التجارية التي تدخل ما يردها من الودائع الى حيز التداول ٠

كثيرا ما نصادف البلدان المنتجة للنفط وهي تمارس اليوم هذا الشكل من التوظيفات كاقتناء حصة المساهمة في مؤسسات البلدان الرأسمالية المتطورة صناعيا٠فقد اقتنت حكومة الكويت الجزء الاكبر من حصة مساهمة شركة « كوانت » الالمانية في رأسمال شركة « دايملر ـ بينز » لصناعة السيارات ٠ وفي مطلع عام ١٩٧٥ اعلن عن تقديم حكومة ايران قرضامقداره ١ مليار من الدولارات لمفوضية الطاقة الذرية في فرنسا ٠ وتحصل ايران بدورها على ١٠ ٪ من حصة اتحاد « ايروديف » الذي يضم شركات فرنسية وايطالية واسبانية وبلجيكية ٠

واخيرا يجدر التحدث عن مساعي البلدان المستخرجة للنفط عن طريق مؤسسات العملات والنقد الدولية ٠

ويعود الدور الخاص في ذلك الى « بنك النفط » الذي اسس عام ١٩٧٤ في اطار صندوق النقد الدولي على حساب القروض التي قدمتها البلدان المنتجة للنفط ٠ ففي العام المنصرم قامت ثمانية من البلدان المنتجة للنفط عن طريق مؤسسات العملات والنقد الدولية ٠ويعود الدور الخاص في ذلك الى « بنك النفط » الذي اسس عام ١٩٧٤ في اطار صندوق النقد الدولي على حساب القروض التي قدمتها البلدان المنتجة للنفط ٠ ففي العام المنصرم قامت ثمانية من البلدان المنتجة للنفط بعقد اتفاقية مع صندوق النقد الدولي تقدم هذه البلدان بموجبها للصندوق قروضا بمقدار ٥ر٣ مليار دولار لتأسيس « بنك النفط » المذكور ٠

ومن عمليات توسيع حجم الموارد المالية للبنك الدولي يمكننا فرز القرض الذي قدمته العربية السعودية للبنك في عام ١٩٧٤ ، والبالغ ٧٥٠ مليون دولار لفترة امدها ١٠ سنوات ٠

ومن الملحوظ ان الجهود النشطة التي تبذلها الدول الرأسمالية والرامية الى اجتذاب موارد البلدان المنتجة للنفط الى مؤسساتها النقدية والمالية ، لا تثير اهتماما خاصا لدى البلدان التي تقدم القروض ، لان الدور الحاسم في صندوق النقد الدولي وفي البنك الدولي للانماء والتعمير ، يعود للبلدان الرأسمالية ٠ والآن ، حين اصبحت الامكانيات المالية للبلدان المنتجة للنفط اكبر بكثير ، يبقى نصيب هذه البلدان من الرأسمال المساهم لصندوق النقد الدولي ، وبالتالي دورها في ادارة شؤون الصندوق ، ضئيلا جدا ٠

ويزداد تفهم البلدان النامية للحقيقة القائلة بأن استثمار الموارد المالية العائدة لها عن طريق تقديم القروض والسلف للبلدان الامبريالية ، واقامة مشاريع استثمارية هناك لا تساعد تعزيز الاستغلال الاقتصادي للدول النامية • واليوم فان تصريحات قادة البلدان المنتجة للبترول ، تتضمن الاشارة الى ضرورة استثمار الموارد النقدية لتنمية بلدانهم والى استثمار هذه الموارد بالدرجة الاولى في البلدان العربية ، وفي اقتصاد بلدان « العالم الثالث » عموما •

ويكشف لنا عن الامكانيات المتعاظمة للبلدان النامية في تطوير الاقتصاد على حساب الموارد الذاتية ، اقدام الجزائر على تخصيص ٨ر٧ مليار دينار جزائري خلال العام الجاري لاغراض البناء العمراني ، وبالاضافة الى ذلك تم تحديد برنامج توظيفات مؤسسات الدولة والادارة الذاتية لعام ١٩٧٥ بمجموع ١٧ مليار دينار جزائري تقريبا مقابل ٣ر١١ مليار للعام المنصرم •

اصبح هذا النمو في الاستثمارات ممكنا — بالدرجة الرئيسية — بفضل زيادة عائدات النفط •

توطد في الآونة الاخيرة بشكل ملموس التعاون بين البلدان النامية التي تمتلك موارد مالية كبرى وبين البلدان الفقيرة ، ويستهدف تخطي الصعاب الاقتصادية ، والاسراع بالتقدم الاقتصادي في البلدان النامية وبالدرجة الاولى في الدول الضعيفة التطور • وهناك العديد من الامثلة في هذا الصدد •

ومن بين امثلة التعاون القائم تنبغي الاشارة الى القرار الذي اتخذته كل من السعودية والكويت والعراق وابو ظبي حول تأسيس الصندوق العربي للتنمية القومية برأسمال قدره ٥ مليارات من الدولارات ، والذي سيستخدم لتقديم المساعدات الاقتصادية للدول الافريقية • ففي خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة من عام ١٩٧٤ ، حصل ١٧ بلدا افريقيا على ٤٠ مليون دولار من هذا الصندوق •

ينجم تحسن الوضع النقدي والمالي للعديد من البلدان النامية وتحرك رأسمال التسليف فيما بينها عن الظروف الجديدة التي تطرح في عين الوقت قضايا جديدة في مجال التعاون بين الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى من جهة ، وبين بلدان «العالم الثالث» من جهة أخرى •

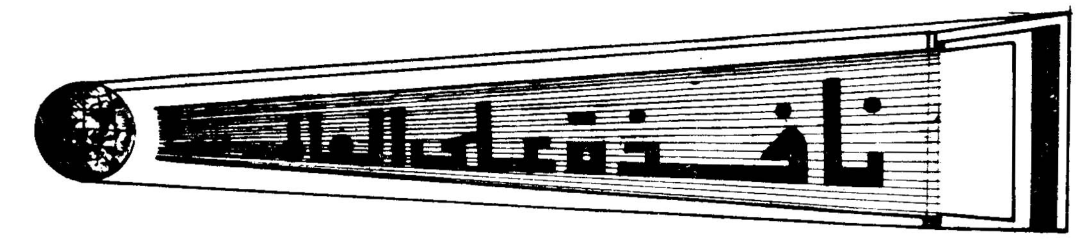
ظهرت ، عوامل هامة تبشر بالمساعدة على توسيع التعاون الاقتصادي بين البلدان النامية والبلدان الاشتراكية • فبالفعل ، كانت الاطر الاقتصادية للتعاون بين هاتين المجموعتين من الدول ابان الخمسينات والستينات تتوقف بالدرجة الرئيسية على امكانيات البلدان الاشتراكية في تقديم القروض (الحكومية كالمعتاد) لمن يتعامل معها من الدول النامية • ولقد اصبح من الممكن في الوقت الحاضر رفع هذه التحديدات في حالات معينة ، فمن أجل القيام بهذه الوجوه من التعاون أو تلك يمكن ضمان التمويل على حساب البلدان النامية •

ويتيح تنظيم التعاون الاقتصادي بين البلدان الاشتراكية وبعض البلدان النامية دون تقديم قروض من قبل الدول الاشتراكية ، يتيح استخدام موارد التسليف الخاصة بالاخيرة لاغراض توسيع تعاونها مع البلدان النامية الاخرى •

وبهذا ، فالموارد المالية المتنامية من البلدان النامية توسع الى حد كبير من امكانات التعاون المتكافيء والمتبادل النفع بين البلدان الاشتراكية ودول « العالم الثالث » • وفي الواقع ، تستطيع الدول الاشتراكية ان تلعب دور المسلف ودور من يحصل على القروض من بعض الدول النامية • ان مثل ذا التعاون يساعد على تطوير الاقتصاد في البلدان النامية وفي الدول الاشتراكية ايضا •

ففي مجرى السنتين الاخيرتين توسع بشكل ملموس التعاون الاقتصادي اليوغسلافي — الليبي ، • وقامت الدورة الاولى للجنة اليوغسلافية — الليبية المشتركة الخاصة بالتعاون الاقتصادي بمناقشة المسائل المتعلقة ببناء مصنع الالمنيوم المشترك في ليبيا وامكانية ليبيا في المساهمة بمدخط انابيب نفطي في يوغسلافيا وبناء مصنع لتكرير البترول ، واعلنت الكويت عن استعدادها للمساهمة في تمويل عملية مد الخط المذكور •

ان حل ما يبرز من المشاكل في الحين سوف يؤدي الى توسيع ملموس لتعاون البلدان الاشتراكية مع الدول النامية ، التعاون القائم على المساواة التامة في حقوق الاطراف ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبعضها البعض ، والنفع المتبادل وعلى الرغبة الصادقة للدول الاشتراكية في تقديم المساعدات لبلدان « العالم الثالث » من اجل تحقيق استقلالها الاقتصادي •



● « مرفأ الذاكرة الجديدة » مجموعة شعرية هي الرابعة للشاعر محمد عمران ، صدرت حديثا ، يعتبر شعره خطوة متقدمة في الشعر السوري الحديث من حيث البناء والمحتوى الانساني .

● من كلية الاداب الشرقية في جامعة القديس لويس في بيروت ، نال الكاتب القصصي اسكندر لوقا ، الدكتوراه باطروحته « الحركة الادبية في دمشق ١٨٠٠ ـ ١٩١٨ » درس فيها ازمة الفكر العربي في القرن التاسع عشر ، وتضمنت خمسة فصول عن: الخلفيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومنابع الثقافة ، والموضوعات والفنون الادبية التقليدية والجديدة ، نتمنى على الجهات المعنية نشر هذه الاطروحة التي تعتبر مصدرا غنيا لدارسي الادب في تلك الفترة .

● يتابع الروائي فاضل السباعي نشر نتاجه الادبي، فبعد ان صدرت له في مطلع هذا العام مجموعته القصصية « حزن حتى الموت » ، صدر له عن دار المعارف بمصر في سلسلة اقرأ ، كتابه الجديد « رحلة حنان » وقد أهداه الى « جيل الامة ، جيل الغد » وهم الذين اوحو اليه بالقصص العشر التي تضمنها الكتاب .

هذا ، وقد صدر له في هذا العام ، عشرة كتب في سلسلتي « نوابغ العرب » و « ابطال العرب » منها عبد الرحمن الكواكبي ، وعمر المختار ، وسواهما .

● تعكف غادة السمان على جمع وجدانياتها التي تكتبها في الصفحة الاخيرة من مجلة الاسبوع العربي ، في كتاب عنوانه « اعلنت عليك الحب » وسيصدر قريبا . أعادت غادة طباعة كتابها « رجل المرافىء القديمة » للمرة الثانية ، وكتبها » عيناك قدري ، لا بحر في بيروت ، وليل الغرباء » للمرة الثالثة .

● « البحث عن توفيق الصائغ » مجموعة شعرية لرياض نجيب الريس ، صدرت في بيروت ، كان اخراج هذه المجموعة جديدا للفنان وضاح فارس ، الذي نقل عفوية القصيدة عند الريس مثلما كانت عفوية الصائغ الذي سقط صريعا منذ خمس سنوات .

المجموعة رثائيات ، تجلى فيها وفاء الشاعر لصديقه توفيق الذي عاش في غربة كانت هروبا من واقع وطن فقده ، ووطن رفضه ، ووطن لم يعترف به .

● تستعد الاوساط الثقافية اللبنانية ، للاحتفال بذكرى مرور مائة عام على ولادة امين الريحاني (١٨٧٦) وستلقى الاضواء ، في هذا الاحتفال ، على حياة الريحاني الادبية والسياسية والاجتماعية ، مجلة الطريق استبقت هذه المناسبة ، فخصصت بعضا من صفحات عددها الذي صدر في آب الماضي لدراسة الجوانب الادبية والاجتماعية لريحاني ، محاولة ابراز سمات المجتمع العربي من خلال مؤلفاته .

● مؤسسة الاخطل الصغير التي يرأسها الشاعر الكبير عمر ابو ريشة ، تعمل على اقامة بناء في المتن الشمالي ، يضم مدرسة ثانوية ، ومكتبة للشعر العربي والعالمي ، وجناحا للضيافة ، وصالة سينما ، وستخصص جائزتين سنويتين لافضل ديوان شعر عربي ، ولاحسن انتاج عربي علمي أو اجتماعي او تاريخي .

● تعد مؤسسة ثقافية تشيكية ، العدة لترجمة جميع اعمال الشاعر والكاتب العربي اللبناني جبران خليل جبران ، مع دراسة واسعة لسيرة حياته وآثاره الفنية والادبية .

● « المتنبي يسترد اباه » كتاب جديد للاديب العراقي عبد الغني الملاح ، صدر في بغداد ، عالج فيه المؤلف نسب المتنبي الشاعر العربي الكبير ، وادعى بانه علوي وان أباه هو « محمد المهدي » ولا يكون الكاتب قد أتى بنظرية

جديدة ، فقد ألمح الاديب المصري محمود محمد شاكر في بعض دراساته ، الى مثل هذا ، لكن الجديد فيها هو الدعم الاستقرائي والموضوعي لها ، بعد ان حامت شكوك في انتساب المتنبي الى الحسين الجعفي الملقب بعيدان السقاء .

● عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر ، صدرت مسرحية للدكتور ابو العبد دودو ، عنوانها « التراب » روى في فصولها الثلاثة ، نضال الشعب الجزائري ضد الاستعمار إبان الاحتلال الفرنسي ، وصور مدى تعلق الشعب بارضه ، واستماتته في سبيل وطنه .

● كانت مفاجأة الدكتور عبد الله شريط المتخصص في كتابة الدراسات ، صدور ديوان شعر له بعنوان «الرماد» ضم قصائده التي نظمها اثناء حرب التحرير الجزائرية ، يضيف به لونا جديدا الى التراث العربي الثوري الذي تزخر به المكتبة الجزائرية .